بعض أدوات السبب والعلة

دراسة فى النص الكريم

الدكتور
سعد حسن حموده
كلية التربية
جامعة المنصورة

دار المعرفة الجامعية
الاسكندرية

٢٠٠٤ م

المقدمة:

هذا بحث فى أدوات السبب والعلة يتسلط عليه الضوء مــن خلال الدرس فى النص القرآنى الكريم . وأكاد أذهب إلى أن ما قال به النحاة من أدوات للسبب أو للعلة ، هو فى حقيقة الأمر ما قال به المفسرون ، وهم يتأولون دلالات هذه الأدوات ، ويذهبون فيها بيــن السبب تارة، وبين العلة تارة أخرى . وربما أكد هذا استشهاد النحاة ببعض الآيات التى ذكر فيها المفسرون سببية هذه الأداة ، أو تلــك ، أو قالوا بالعلة فيها ، أو جعلوها محتملة للعلة والســـبب ، حســبما يقتضى السياق. وأكاد أذهب أيضا إلى أن ما جاء به النحـــاة مــن شواهد شعرية فى هذا الصدد مقيس على النمـــاذج القرآنيــة التـــى قدمها المفسرون.

لذا كانت أهمية هذه الدراسة ، ومن ثم كان الـــدرس فـــى القرآن الكريم. لقد تراءت هذه الأدوات ذوات دلالات مؤثـــرة فـــى السياق القرآنى ، ولذلك كان فهم هذه الدلالات مهما ،من قبل أنـــه يقدم لنا معايير محددة لمعنى السبب ولمعنى العلة فى كل أداة مـــن هذه الأدوات . هذه المعايير – فيما أظن - يمكن أن يكون لها شـــأن منوط ببعض قضايا الاستنباط فى الأحكام الشرعية.

جاءت هذه الدراسة مقسمة على النحو التالى:

الفصل الأول : الباء

الفصل الثانى : حتى

الفصل الثالث : عن

الفصل الرابع : الفاء

الفصل الخامس: اللام

الفصل السادس: من

ثم ذيلنا الدراسة بعنوان : بين السبب والعلة

وفى نهاية المطاف خاتمة لخصنا فيها أهـــم نتــائج هــذه الدراسة ، ثم كان فهرس يضم أهم المصادر والمراجـــع ، يتبعــه فهرس بالتقسيمات التى ألمحنا إليها.

وفى الختام أرجو أن يكون ما قدمنا ذا قيمة ، بين ما يقـــدم إلى مكتبة التراث العربى الأصيل ، ومن ثم يكون ذا نفع ، يمكـــث فى الأرض .

والله أسأل أن يكون خالصا لوجهه الكريم.

سعد حمودة

الفصل الأول

" الباء"

من النحاة من ذكر للباء معانٍ منها السببية[1]، وساقوا لذلك أمثلة من الذكر الكريم، نثبتها هنا ، ونأتي بغيرها ، كيما نقدم مادة من النصوص تكفى ، أو لعلها تكفى لما قد يخطر من أسئلة بحثية ، ربما كانت جديرة بالاعتبار.

أولا : النصوص:

يقول الله تعالى:

(إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ) (البقرة: من الآية٥٤)

(فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِن السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون)

(البقرة ٥٩)

(وَضُرِبتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ والمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ ٠٠ ذَلِكَ بمَِا عَصَوا) (البقرة ٦١)

(ذَلِكَ بِأنَّهم كَانُوا يَكْفُرُونَ) (آل عمران ١١٢)

(سنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوالرَّعْبَ بمَِاأَشْرَكُوا)(آل عمران١٥١)

(فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُم) (آل عمران:١٥٩)

(وَلَكن لَّعَنَهَم اللَّه بكُفْرِهم) (النساء: ٤٦)

---

[1] انظر : أوضح المالك : ٤٨/٣ ، المغنى : ١٠٣/١، شرح الكافيه : ٣٢٨/٢.

(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ) (النساء ١٥٥)

(بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ وبكفرهم وقولهم) (النساء:١٥٥)

(فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ)

(النساء ١٦٠)

(فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ) (الأنعام: من الآية٦)

(ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم) (غافر ١٢)

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا)(غافر: ٢٢)

ثانيا : التراكيب الواردة :

الجملة الاسمية: **(إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ)**(البقرة: من الآية٥٤)

وقعت الباء فى جملة خبر " إن" [الباء + المصدر المضاف (اتخاذكم) (باتخاذكم العجل) ، فتعلق شبه الجملة (باتخاذكم) بالفعل (ظلم): بـ + اتخاذ(كم) (البقرة ٥٤)

وجاءت الباء كذلك فى : (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ . . ذَلِكَ بِمَا عَصَوا)** (البقرة ٦١)

الباء + أن + اسمها (ضمير) وبذلك وقعت خبرا لاسم الإشارة (ذلك بأنهم كانوا)

بـ + (أن) هم (آية البقرة ٦١)

فتعلق المصدر المؤول (بكونهم) بالفعل المتأخر " يكفرون"

وفى قوله (ذَلِكَ بِأَنّه إذَا دُعِى اللهُ وحْدَه كَفرّتمُ) (غافر١٢)

الباء + أن + ضمير الشأن

فيكون التأويل : الباء + مصدر مؤول (دعاء)، فيتعلق التركيب بالفعل المتأخر(كفرتم)

بـــ + دعاء الله وحده

وفى قوله :(ذَلِكَ بِأنهّم كَانَت تَأْتِيهم رُسُلهُم بالْبيِّنَاتِ فَكَفرُوا)(غافر: من الآية٢٢)

الباء +أن + هم + فعل ناقص ناسخ (كانت)

فتؤول أيضا نحو سابقتها:

الباء+ مصدر مؤول (إتيان) + هم

فيتعلق الجار والمجرور بالفعل " كفر" المتأخر.

السياق وهذه الجمل الاسمية:

يقول الإمام الفخر الرازى٠٠٠" واذكروا إذ قال موسى لقومه بعد ما رجع من الموعد الذى وعده ربه ، فرآهم قد اتخذوا العجل٠٠٠ فلما عبدوا العجل كانوا قد أضروا بأنفسهم ؛ لأن ما يؤدى إلى ضرر الأبد من أعظم الظلم ٠٠ أما قوله تعالى (باتِّخَاذِكمُ العِجْل) ، ففيه حذف ، لأنهم لم يظلموا أنفسهم بهذا القدر ، لأنهم

لو اتخذوه ولم يجعلوه إلها ، لم يكن فعلهم ظلما ، فالمراد : باتخاذكم العجل إلها"[١] .

ويقول أبو حيان :" والباء فى (باتِّخاذِكم العِجْل) سـببية.[٢] . على أنه يمكن القول بأن ما نقلنا عن الرازى ، ربما يفهم منه معنى السبب فى الباء.

خلاصة السياق أن الإضرار بالنفس من أكبر الظلم ، فممـا يظلم الإنسان به نفسه إفساد عقيدته عليـه، مـن طريـق الـهوى والضلال ، فيكون ذلك سببا فى الظلم ، وهو لا يدرى . فعلى ذلـك يكون:

* حصول الضرر ⟵ مسبب

* سبب الضرر ⟵ اتخاذ العجل إلها. وهـو سبب

وعن آية البقرة (٦١) ، يقول أبو حيـان :" (ذَلِـك بِأَنَّـهم) الإشارة إلى المباءة [٣] بالغضب ، أو المبـاءة والضـرب ، وهـو مبتدأ، والجارو المجرور بعده خبر، والباء للسبب، أى ذلـك كـائن بكفرهم وقتلهم"[٤] ويقول الشيخ الزمخشرى:" ويجوز أن يشار بذلـك

---

[١] مفاتيح الغيب : ٣/٧٤-٧٥.

[٢] البحر : ١/٢٠٦

[٣] إشارة إلى قوله (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ الله)

[٤] البحر ١/٢٣٦

إلى الكفر وقتل الأنبياء على معنى أن ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم ، لأنهم انهمكوا فيهما وعلوا حتى قست قلوبهم ، فجسروا على جحود الآيات وقتل الأنبياء.. "[١].

لكن الشيخ الرازى يرى أن ذلك " علة لما تقدم ذكره من ضرب الذلة والمسكنة عليهم وإلحاق الغضب بهم.. [٢] غير أنى أرى أن هذا ليس من قبيل العلة ، بل هو موصول بالسبب ؛ وذاك إذا عرفنا أن من المتكلمين من يرى أن السبب هو " كل أمر فعل المختار فعلا من أجله لو شاء لم يفعله، كغضب أدى إلى انتصار، فالغضب سبب الانتصار ، ولو شاء المنتصر ينتصر لم ينتصر ، وليس السبب موجبا للشئ المسبب منه ضرورة ، وهو قبل الفعل المتسبب منه ولا بد "[٣] فى حين نجد" العلة لا تفارق المعلول البته، تكون النار عله للإحراق..[٤].

وعلى ذلك يكون:

- الكفر سبب المباءة بالغضب ، أو المباءة والضرب.
- أو أن يكون العصيان سبب الكفر إذا كانت الإشارة إلى الكفر ، كما ذكر الشيخ الزمخشرى.

---

[١] الكشاف :١/١٤٦

[٢] مفاتيح الغيب : ٣/٩٥

[٣] ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم ٤٦٥ هـ): الإحكام فى أصول الأحكام:٨/١٤٢٩، تحقيق الدكتور محمود حامد عثمان . الطبعة الأولى ١٩٩٨م ، دار الحديث ، القاهرة.

[٤] الإحكام : ٨/١٤٢٩.

- وكان من الممكـــن أن يكفـــروا ، أو لا يكفـــروا ، فـــهم المختارون للفعل فكونهم كفروا فهذا ســـــبب، أو كونـــهم عصوا فهذا أيضا سبب ، لأنهم هم الذين شاؤوه ، وكـــان يمكن ألا يشاؤوه.
- إنه يلزم أن يكون هناك كفر ، ليكون الغضب والمبـــاءة والضرب، أو أن يكون هناك عصيان ليكـــون الكفـــر ، فالسبب " لا يتأخر عن مسببه على وجه من الوجوه"[١]

وبذلك يمكن التطبيق على آيتى غافر(٢٢،١٢).

فنقول: فى الآية الثانية عشرة : جاء" الخطاب للكفـــار فـــى الآخرة ، والإشارة إلى العذاب الذى هم فيه أو إلى مقتهم أنفسهم، أو إلى المنع من الخروج..."[٢]

فيكون:

- كفرهم هو سبب فى ألا يكون لهم ســـبيل إلـــى خـــروج قط[٣].
- هم الذين وقعوا فيما أرتكسوا فيه عن اختيار لهم.
- كما نلاحظ ان السبب لا يتأخر عن المسبب ، كما رأينا.

---

[١] الفروق : ص :٦٥.

[٢] البحر : ٤٥٤/٧

[٣] أنظر مفاتيح الغيب:٣٧/٢٧.

وكذلك يقال عن الآية الثانية والعشرين ، فلا مدعاة لتسـجيل ما نراه نافلة قول قيل.

وبعد هذا التحليل يمكن أن نسجل هنا ما يأتى:

أولا : جاءت الباء بعدها مصدر صريح مرة فى (باتخاذكم)

ثانيا : وجاءت بعدها:

أ- حرف ناسخ " أن "
ب- فعل ناسخ " كان" (بأنهم كانوا)
ج- ما مصدرية (بما عصوا)

ثالثا: كانت الباء فى الجمل الاسمية التى قدمناها سببية.

رابعا: إن معيار السببية هنا وجدناه متمثلا فى :

* أن السبب فعل يراد أو لا يراد.
* ليس يدور مع المسبب وجودا وعدما، كما هو فى العلة.
* السبب يكون سابقا على المسبب.

الجملة الفعلية:

قوله : (وأنزلنـا علـى الذيـن ظلمـوا رجـزا٠٠ بمـا كـانوا يفسقون)(البقرة٥٩)

(سنُلْقِى فِى قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا)

(آل عمران ١٥١)

(ولَكِن لَّعنَهَمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِم)(النساء ٤٦)

(بلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بكُفْرِهِم فَلَا يؤْمِنوُن إلا قليلا) (النساء ١٥٥)

(فبِظُلمِ مِن الَّذينَ هَادوُا حَرَّمْنَا عَلَيْهِم) (النساء ١٦٠)

(فأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهم) (المائدة ٦)

الباء + " ما" مصدرية ← شبه الجملة متعلق بالفعل (أنزل)

الباء + "ما" مصدرية ← شبه الجملة متعلق بالفعل (سنلقى)

الباء + مصدر ← شبه الجملة متعلق بالفعل (لعن)

الباء + مصدر ← شبه الجملة متعلق بالفعل (طبع)

الباء + مصدر ← شبه الجملة متعلق بالفعل (حرم)

الباء + اسم ← شبه الجملة متعلق بالفعل(أهلك)

السياق وهذه الجمل الفعلية:

يقول أبو حيان عن آية البقرة "٥٩":" فالظاهر أن التبديل سببه الظلم ، وأن إنزال الرجز سببه الظلم أيضا ."[١]وهذا يعنى أن :

- الظلم كان أولا.

---

[١] البحر : ٢٢٥/١

- ثم كان التبديل ، وإنزال الرجز.
- فالظلم -إذا- سابق على المسبب عنه

وعن قوله فى آية آل عمران " ١٥١" يقول الشيخ الزمخشرى :" (بما أشركوا) بسبب اشراكهم، أى كان السبب فى إلقاء الله الرعب فى قلوبهم اشراكهم به."[١] وكذلك قال الشيخ الرازى:" والمعنى : بسبب إشراكهم بالله" [٢] واتفق على ذلك أيضا أبو حيان ، حين قال:" الباء للسبب ، "وما" مصدرية ، أى بسبب إشراكهم بالله ..[٣]

أى كان إشراكهم سببا، فكان أولا ، على النحو الذى تقدم فى آية البقرة (٥٩)

وعلى هذا النحو نجد الباء سببا فى قوله تعالى (ولكن لعنهم الله بكفرهم) (النساء ٤٦) فقال الزمخشرى :" أى خذلهم بسبب كفرهم .."[٤]، وكذلك قال الرازى[٥] وقال أبو حيان [٦]. وكذلك فى قوله :

(بلْ َطبَع الّله َعلَيْها بِكُفّْرِهم) [النساء ٥٥]

---

[١] الكشاف : ٤٢٥/١

[٢] مفاتيح الغيب : ٢٧/٩

[٣] البحر: ٧٧/٣

[٤] الكشاف :٥١٨/١

[٥] مفاتيح الغيب:٩٦/١٠.

[٦] البحر : ٢٦٤/٣

حيث ذكر ذلك الزمخشرى [٤] وأبو حيان[٥] حيث رأينا عندهما:

- الكفر سببا.
- الطبع مسببا

وقوله تعالى (فبِظُلْمٍ من الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا٠٠) [النساء ١٦٠]

يقول أبو حيان :" المعنى : فبظلم عظيم ،أو فبظلم أى ظلم ، وحذف الصفة لفهم المعنى جائز ويتعلق بحرمنا" ، وتقدم السبب على المسبب تنبيها على فحش الظلم ٠٠ "[٦] وعن هذه الآية الكريمة يذكر ابن حزم " أن الظلم ليس علة فى تحريم الطيبات ، ولا سببا له إلا حيث جعله الله تعالى بالنص سببا له فقط."[٧] فليس فى الأمر إلا من:

- تقدم السبب
- تأخر المسبب.

وفى قوله (فأهلكناهم بذنوبهم) [الأنعام ٦]

يتضح معنى السبب فى الباء . يقول أبو حيان :" ٠٠ والمعنى أنه تعالى مكنهم التمكين البالغ ، ووسع عليهم الرزق ، فذكر سببه ،

---

(٤) الكشاف: ١٥٩/١

(٥) البحر :٣٨٨/٣

(٦) البحر :٣٩٤/٣

(٧) الإحكام :١٤٢٠/٧.

وهو تتابع الأمطار على قدر حاجاتهم ، وإمساك الأرض ذلك الماء، حتى صارت الأنهار تجرى من تحتهم، فكثر الخصب ، فأذنبوا فأهلكوا بذنوبهم . والظاهر أن الذنوب هنا ، هى كفرهم وتكذيبهم برسل الله ٠٠"[١]

فكانت :

الذنوب سببا

والإهلاك مسببا

الباء + "ما" الزائدة:

جاء ذلك فى آيتين:

قوله تعالى (فبما رحمة من الله لنت لهم) [آل عمران ١٥٩]

(فبما نقضهم ميثاقهم) [النساء ١٥٥]

يقول الرازى معلقا على آية آل عمران :" وجه الاستدلال أنه تعالى بين أن حسن خلقه مع الخلق ، إنما كان بسبب رحمة الله تعالى ٠٠"[٢] ويقول أبو حيان : " متعلق الرحمة المؤمنون، فالمعنى : فبرحمة من الله عليهم لنت لهم ٠٠ وما هنا زائدة للتأكيد ، وزيادتها بين : الباء ، وعن، ومن ، والكاف ٠٠"[٣].

---

[١] البحر :٧٧/٤

[٢] مفاتيح الغيب :٥١/٩

[٣] البحر :٩٧/٣

وعن آية النساء يقول الزمخشرى :" (فبما نقضهم) فبنقضهم - و"ما" مزيدة للتوكيد. فإن قلت : بم تعلقت البـاء ؟ ومـا معنى التوكيد ؟ .قلت : إما أن يتعلق بمحذوف ، كأنه قيل : فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا ، وإما أن يتعلق بقوله (حرمنا عليهم)٠٠ وأما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن إلا بنقض العهد، وما عطف عليه من الكفر وقتل الأنبياء وغير ذلك"[١]

ويؤكد أبو حيان سببية الباء فى هذه الآية (فبما نقضهم) بما نقله عن ابن عطيه، حيث يقول :" قال ابن عطيه فيما لخصناه من كلامه : هذا إخبار عن أشياء واقعوها٠٠٠ نقضوا الميثاق الذى رفع عليهم الطور بسببه ، وجعلوا بدل الإيمان الذى تضمنه الأمر بدخول الباب سجدا، المتضمن التواضع الذى هو ثمرة الإيمان ، كفرهم بآيات الله٠٠)[٢]

وعلى ذلك يمكن أن نسجل هنا ما يأتى:

- "ما " زائدة فى الآيتين الكريمتين.
- فيكون التقدير : برحمة من الله لنت لهم.

الباء + معمولها ← متعلق بالفعل (لنت)

بـ + رحمة ← "لنت"

---

[١] الكشاف : ٥٨٥/١

[٢] البحر : ٣٨٨/٣

وهنا تَعِنّ لى هذه المعانى:

الأول : امتن الله بالرحمة على المؤمنين ، فبسبب هـــذه الرحمـــة دمثت أخلاقه صلى الله عليه وسلم ولان جانبه لهم.

الثانى : وإذا كان متعلق الرحمة المخاطب(صلى الله عليه وســلم) ، قال أبو حيان:" أى برحمة الله إياك ، جعلك ليـــن الجـــانب موطأ الأكناف فرحمتهم ولنت لهم "[١] فرحمة الله لرســـوله سبب جعله لين الجانب.

الثالث : احتمال كون النبى صلى الله عليه وسلم متعلق الرحمــــة ، ولكن على وجه آخر ، وذلك من قبل جعله على خلق عظيـم فلينه لهم.

فهذه المعانى المحتملة تضمنها هذا التركيب:

[بـــ + رحمة] ⟵ الذى تعلق بالفعل (لنت)

فتمثلت سببية "الباء" على هذا النحو:

- بسبب رحمة الله للمؤمنين جعل منهم رسولا دمث الخلــق ليــن الجانب.
- بسبب رحمة الله لرسوله الكريم لين جانبه ليألفه قومه.
- خلقه الكريم سبب لينه.

---

[١] البحر :٣/٩٧

فهذه معان أراها مصاحبة لهذا التركيب.

• ويكون التقدير فى آية النساء : فبنقضهم فعلنا ، أو حرمنا

الباء +معمولها ⟵ متعلق بـــ " فعلنا" أو " حرمنا"

بـــ + نقضهم ⟵ "فعلنا " - " حرمنا"

وتظهر لى هذه المعانى أيضا:

الأول: بسبب نقضهم فعل بهم ما فعل

الثانى: وبسبب نقضهم خرم عليهم ما حرم.

* إن الياء - سببية - مع زيادة " ما"

(بـــ + ما)

تركيب ربما أوحى بالدلالات الآتية:-

- التحقيق فى معنى الخير

- التحقيق فى معنى الشر.

من قبل أن

بـــ + ما + رحمة

تحقق به وقوع لين الجانب من لدن رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم ، على الوجوه المحتملة التى أيناعنها ، وقد زاد التوكيد توكيدا الفعل الماضى (ليت) وأن : بـــ + ما + نقضهم

تحقق معه العقاب الذى كان ألوانا ، كما كان سببيه ألوانا ، فكـــان بين نقض العهد ، والكفر بالآيات ، وقتل الأنبياء

خلاصة الدرس فى الباء يمكن أن نجملها فيما يأتى

أولا : جاء تصنيف النصوص التى قدمنا :

جمل اسمية

جمل فعلية

الباء +"ما" الزائدة

ثانيا: الخصائص المميزة للباء

الخصائص اللغوية المصاحبة فى الجملة الاسمية:

الباء + مصدر مضاف إلى ضمير[باتخاذكم]

المصدر المضاف جاء عاملا ← نصب" العجل" معمولا له

شبه الجملة تعلق بالفعل المتقدم "ظلم"

الباء + مصدر مؤول : من "أن" ومعموليها

" بكونهم"

المصدر المؤول ← متعلق بالفعل " تكفرون"

وكذلك بالنسبة لآيتى غافر(١٢،٢٢) تكون:

الباء + المصدر المؤول

وهنا نلاحظ:

١- عندما كان المصدر صريحا بعد الباء

(باتخاذكم)

تعلق شبه الجملة بمتقدم

٢- وعندما يكون مؤولا

" بأنهم كانوا" -" بأنه إذا رعى" - " بأنهم كانت تأتيهم"

رأينا المتعلق متأخرا كما بينا ، ينضاف إلى ذلك أننا رأينا أيضا هذا التركيب وقع بعد اسم الإشارة "ذلك"

ونحن نعرف أن متعلق شبه الجملة ، الأغلب فيه أن يتقدم، وهو هنا الفعل " ظلم" الذى يمثل مع معمولية جملة فى محل رفع على أنها خبر " إن" ثم جاء شبه الجملة " باتخاذكم" ليحمل معنى جديدا ينضاف إلى الجملة ، فكان لزاما أن يكون التركيب على هذا النحو الذى رأينا . فى حين تأخر المتعلق فى المصدر المؤول من قبل أن المصدر المؤول إنما جاء بعد اسم الإشارة لبيان عظم المشار إليه ، وهو من قبيل جرائم الكفار المخبر عنها بعد اسم الإشارة . ويحضرنى هنا صاحب كتاب " البلاغة والأسلوبية "، حين يقول :" وإذا كان السياق هو الذى يعطى المدلولات فإنه من

جانب آخر هو الذى يعطى الشكل للعبارة ، بحيث يكون هناك تفاعل أكيد بينهما"[١] .

وهكذا رأينا السياق بغرض الشكل التركيبى وصولا للدلالات المطلوبة.

- الخصائص اللغوية المصاحبة فى الجملة الفعلية.

جاءت هذه الأشكال التركيبية الآتية مبينة للخصائص اللغوية فى الجملة الفعلية على النحو التالى:

الباء+ " ما" مصدرية + فعل ناسخ ⟵ (بما كانوا)

الباء + "ما" مصدرية + فعل ⟵ (بما أشركوا)

الباء+ مصدر(الكفر) ⟵ مرتين (بكفرهم)

الباء +اسم(بذنوبهم) ⟵ مرة واحدة

تقدم الباء+ المصدر (فبظلمهم) ⟵ مرة

نلاحظ ما يأتى :

- كل المتعلقات متقدمة ، ما خلا قوله " فبظلم" ، لأنه أراد أن يقدم السبب .

- المتعلقات المتقدمة لبيان ماكان ، وما سيكون بشأن المعنيين فى السياق.

---

[١] الدكتور محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية ، ص :٣٢١، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٤م.

الخصائص المعنوية للباء:

جاءت الخصائص المعنوية للباء فى كل ما قدمنا متمثلة فى كونها للسبب طبقا لمعايير السببية التى أشرنا إليها ، والتى سنجملها الآن.

معايير السبب فى الباء:

جاءت الباء فى كل النصوص التى قدمنا للدلالة على السبب فى الجمل الاسمية ، وفى الجمل الفعلية . وقد حاولنا إثبات ذلك من طريق النصوص ، ومن أقوال المفسرين والمتكلمين ، والنحاة . وآية ذلك أننا وجدنا معايير قد تراءت لنا على النحو التالى:

أولا : أن يكون هناك أمر يفعل من أجله فعل ما.

ثانيا : الذى يفعل مختار فى أن يفعل أو لا يفعل.

ثالثا : يكون السبب قبل الفعل.

رابعا: لا يدور السبب مع المسبب وجودا وعدما ، كالعلة والمعلول، يعنى ليس السبب موجبا للشئ المسبب عنه.

وعلى ذلك نسوق بعض أمثلة لهذه المعايير من قبيل التطبيق.

١- إن اتخاذ العجل إلها سبب الظلم.

٢- الذين اتخذوا العجل إلها، كان يمكن ألا يتخذوه.

٣- لكنهم لما اتخذوه أوقعوا الظلم على أنفسهم ، فكان اتخـــاذهم أولا ، ثم كان جزاؤهم.

ب-

١- وكذلك رأينا الكفر سبب المباءة بالغضب.

٢- كان من الممكن أن يكفـــروا أو لا يكفـــروا ، علـــى أنـــهم مختارون فى هذا .

٣- ولأن الكفر سبب جاء متقدما.

وهكذا يمكن أن نجعل هذه المعايير ضابطا لمعنى الســـبب فى الأدوات التى جعلها النحويون لهذا المعنى.

الفصل الثانى

حتـــى

حتى

تعددت معانى "حتى" كما تعددت استعمالاتها عند النحاة ، على نحو جعل فى نفس أحدهم منها شيئا ، فقالوا : حرف له معان ثلاثة:

أ- انتهاء الغاية ، وهو الغالب

ب- التعليل

ج- بمعنى " إلا" فى الاستثناء، وهو قليل.[١]

وله استعمالات ثلاثة أيضا:

أ- يكون جارا بمعنى "إلى" مع مخالفته فى أمور ، ومع تفرده بما ليس لـ(إلى)

ب- يكون حرف عطف بمنزلة الواو.

ج- كما يأتى حرف ابتداء.[٢]

وبين هذه المعانى وهذه الاستعمالات تبرز أوجه أخرى ، تتنازع الجمل الاسمية والفعلية ، لانشير إليها ؛ إذا لمقام غير المقام؛ لأننا معنيون بجانب واحد فى الدرس كله وهو بيان السبب أو التعليل ولبيان ذلك نقدم هذه النصوص:

---

(١) انظر المغنى : ١٢٥/١، وابن يعيش:١٥/٨.

(٢) انظر المغنى :١٢٣/١،١٢٤،١٢٧،١٢٨

قوله تعالى (وَقَاتِلُوهُم حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ)   [البقرة ١٩٣]

(وَزُلْزِلُوا حتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ)   [البقرة ٢١٤]

(ولا يَزالُونَ يُقَاتِلُونَكم حَتَّى يَرُدُّوكُم عَن دِينِكُم)   [البقرة ٢١٧]

(ولا تَنْكِحُوا المُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنّ)   [البقرة ٢٢١]

(وإنْ أَحَدٌ مِن المُشْرِكِينَ استَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ)

[التوبه ٦]

(هُم الَّذينَ يَقُولُونَ لاَ تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا)

(المنافقون: من الآية٧)

أولا : الخصائص اللغوية المصاحبة:

جاءت حتى فى هذه النصوص الكريمة كما يلى:

حتى + كون تام منفى (مضارع)

حتى + فعل مضارع

حتى + فعل مضارع

حتى + فعل مضارع متصل بضمير الإناث

حتى + فعل مضارع

حتى + فعل مضارع

هذه المصاحبات ومغزى دلالتها:

يذكر ابن كثير عن ابن عمر: قال: أتاه رجلان فى فتنة ابـــن الزبير، فقالا: إن الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصـــاحب النبـــى صلى الله عليه وسلم ، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعنـــى أن الله حرم دم أخى ، قالا : ألم يقل الله(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُـونَ فِتْنَـةٌ)؟ فقال : قاتلنا حتى لم تكن فتنة ، وكان الدين لله، وأنتم تريـــدون أن تقاتلوا ، حتى تكون فتنة وحتى يكون الدين لغير الله"[١]

ولعل السياق هنا يؤكد مجئ " يكون" تامة ، لأن الكلام فى معنـى المنع. انظر إلى كلام ابن عمر: (قاتلناهم حتى لم تكن فتنة) ، أى لا تحدث فتنة ، مما عساه أن يؤكد معنى التعليل فى "حتى" بل إن أبـــا حيان أشار إلى ذلك، فقال :" وحتى هنا للغايـــة أو للتعليـل٠٠ أو يكون المعنى : وقاتلوهم قصدا منكم إلى زوال الكفر ، لأن الواجـب ٠٠ أن يكون القصد زوال الكفر."[٢] وقول أبى حيان :" قصدا منكم" تأكيد فيما أرى ٠٠ لمعنى التعليل ؛ إذ المصدر مفعول لأجله بمعنى "كى" وهكذا رأينا(حتى لا تكون فتنة):

- تكون تامة لتأكيد المنع ، منع حدوث الكفر.

- وجود صلة بين التعليل فى حتى والتمام فى " يكون"

---

[١] تفسير القرآن العظيم : ٢٢٧/١.

[٢] البحر :٦٨/٢.

- إن تفسير هذه الصلة من قبل أن القتل علة لمنع حدوث الكفـــر و(حتى يقول الرسول)

يقول أبو حيان :" والفعل بعدها منصوب : إما على الغابة ، وإما على التعليل"[١] وعلى ذلك يكون وجه الكلام:

- وزلزلوا إلى أن يقول الرسول

- أو وزلزلوا كى يقول الرسول[٢]

فهذا ما أوحى به السياق ، من ناحية أنهم لما لم يبـــق لـــهم صبر حتى ضجوا، كان ذلك هو الغاية القصوى فى الشدة ، فكـانت حتى بمعنى الغاية[٣] أو من جهة أن الزلزلة كانت من أجل أن يقول الرسول ، فكانت " حتى" بمعنى التعليل ، أو بمعنى "كى".

وليس يعنى ذلك أن " الغاية " قرينة العلة :إذا لغاية تقييد فـى الفعل دون ذكر الحامل عليه . فزمان وجوده مقيد بغايته ، وزمـان وجود الفعل المعلل مقيد بوجود عله"[٤] وإنما يمكـن الجمـع بيـن الحالين بوحى من السياق ليس غير . وعلى ذلـك يكـون ضـابط التعليل فى "حتى".

- أن تكون حتى نفسها قابلة للتأويل بالمصدر المعلل.

---

(١) البحر: ١٤٠/٢

(٢) البحر :١٤٠/٢

(٣) انظر مفاتيح الغيب:١٨/٦

(٤) البحر :١٥٠/٢

- ثم يكون ما بعدها معلولا لما قبلها.

و(حتى يردوكم)

وحتى هنا للتعليل . هكذا قال الزمخشرى [1] وأكده أبو حـيان ؛ إذ رأه" أمكن من حيث المعنى ؛ إذ يكون الفعل الصادر منهم المنـافى للمؤمنين ، وهو المقاتلة ، ذكر لها علة توجبها ، فالزمان مسـتغرق للفعل، مادامت علة الفعل ، وذلك بخلاف الغاية"[2]

وهذا يعنى:

- التقييد بالعلة.
- من ثم الحامل عليها المذكور، ولذلك قـال الزمخشـرى :" أى يقاتلونكم كى يردوكم"[3] .
- ينضاف إلى معايير العلة فى "حتى" أن تتوسط " حتـى " بيـن طرفين:

الأول : الفعل المعلل وزمانه المتفرق له.

الثانى : المعلول.

وفى (٠٠ حتى يؤمن)

---

(١) الكشاف:ص:٢٥٩

(٢) البحر :٢/١٥٠

(٣) الكشاف:ص:٢٥٩

إشارة " إلى العلة المسوغة للنكاح ، وهى الأخوة الدينية ، فنـــهى عن نكاح من لم تكن فيه هذه الأخوة"[١]

- عدم نكاح المشركات معلل.
- الإيمان علة مسوغة للنكاح.
- توسط حتى بين المعلل والعلة.

و(حتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)

حتى يصح أن تكون للتعليل ، كما يصح أن تكون غاية ، وفـــى الحالين متعلقة بالفعل " أجره".

فإن كانت غاية يكون التقدير:

إلى أن يسمع

وإن كانت تعليلا قدرت : لكى يسمع

فعلى معنى التعليل تكون:

- الاستجارة ـــــ علة
- والسماع ـــــ معلا
- توسط حتى بين العلة والمعلول

و(حتى ينفضوا)

---

[١] البحر: ١٦٣/٢.

يجرى على " حتى" ما جرى فى النصوص المتقدمة، حيث ترى:

- قطع أو منع العطاء للمهاجرين ـــــ علة

- الانفضاض من حول رسول الله ـــــ معل

وعن هذا يقول أبـــو حيـــان :" ظنـــوا أن رزق المـــهاجرين بأيديهم، وما علموا أن ذلك بيد الله"[١] فكأنهم ظنوا أن منع الـــرزق- الذى هو بيد الله- علة لأن ينفضوا من حول رسول الله صلــــى الله عليه وسلم.

خلاصة معايير العلة فى "حتى"

يمكن أن نوجز هذه المعايير فيما يأتى:

أ- قابليه حتى لمعنى التعليل الذى ينحصر فى الإجابة عـــن :لـــم ؟ فتكون الإجابة : من أجل كذا.

ب- وتؤول حتى بالمصدر المفعول لأجل كذا.

ج- الفعل المعلل سابق ومقيد بوجود علة بعده.

ثم يمكن بعد ذلك تجربة هذه المعايير علـــى مـــا قدمنـــا مـــن نصوص على النحو التالى:

لم كان قتال المشركين؟	لكى لا تكون فتنة
لم زلزلوا ؟	لكى يقول الرسول

---

[١] البحر:٢٧٤/٨

لِم لا تنكحوا المشركات ؟ لكى يؤمن

لِم تجير المشركين؟ لكى يسمعوا كلام الله

وهكذا يمكن أن يكون ما قدمنا ضوابط لمعايير العلة بشـــكل عام فيما تواضع عليه النحاة من تسميتهم بأدوات العلة والسبب.

الفصل الثالث

" عـــن "

الفصل الثالث

"عـــن"

جاء معنى "عن " بين العلة والسببب عند النحاة والمفســـرين - بعضهم- لذلك حاولنا جمع ما عنّ لنا من آيات فى النص الكريـــم رأيناها متضمنة لهذا المعنى ، على النحو الذى قالوا به ، وجعلـــوه أساسا لمعنى السبب أو العلة فى عن . وعلى ذلك نقدم هذه الآيـــات كما نرى ثم نتناولها دراسة وتحليلا ، كيما نصل إلى المعنى الـــذى نريد.

يقول الله تعالى:

(فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا) [البقرة ٣٦]

(ومَا كَان اسْتِغْفَارُ إبْرَاهِيمَ لِأَبِيْهِ إلّا عَنْ مَوْعِدَة) [التوبة ١١٤]

(ومَا نَحْنُ بِتَارِكِى آلِهَتِنَا عنْ قَوْلِك) [هود ٥٣]

(ومَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى) [الكهف ٨٢]

(يُؤْفَكُ عَنْهَا مَنْ أُفِكَ) [الذاريات ٩]

هذه النصوص ومنهج الدرس

أولا : التراكيب التى وردت فيها " عن"

الجملة الفعلية:

فى آيه البقرة جاءت " عن " على النحو التالى

الفعل " أذل" + ضمير " مفعول به" + الفاعل " الشـيطان"+ "عـن" ومعمولها تعلق " عن " ومعمولها " ضميرها " بالفعل أذل

وفى آية الكهف:

الفعل المنفى " فعل" + "عن " ومعمولها

تعلق "عن" ومعمولها بالفعل المتقدم عليها

وفى آية الذاريات:

الفعل المضارع المبنى للمجهول " يؤفك" + "عن" ومعمولها الضمير

تعلق "عن" ومعمولها بالفعل "يؤفك"

جاء الفعل منفيا مرة واحدة فى آية الكهف

- الجمل الاسمية:

- فى آية التوبة جاءت "عن" فى هذا التركيب

- ما (نافية) +كان+ اسـمها"مصـدر" مضـاف+ إلا + " عـن " ومعمولها

تعلق " عن " ومعمولها بالخبر المشتق.

ثانيا: السياقات:

أ-فى الجمل الفعلية:

آية البقرة : يقول أبو حيان :" الهمزة٠٠ للتعديـــة . والمعنـــى: جعلهما زلَّا بإغوائه، وحملهما على أن زَلَّا ، وحصلا فى الزلة. هذا أصل همزة التعدية ٠٠٠ وقيل: أزلهما ، أبعدهما . تقـول : زل عن مرتبته ، وزل عنى ذاك٠٠ أى ذهب وســقط ، وهـو قريب من المعنى الأول ؛ لأن الزلة هى سقوط فى المعنـى ، إذ فيها خروج فاعلها عن طريق الاستقامة ."[١] ثـم يقـول فـى موضع آخر :" عنها الضمير عائد على الشجرة ، وهو الظاهر، لأنه أقرب مذكور ، والمعنى : فحملهما الشيطان علـى الزلـة بسببها ، وتكون " عن " إذ ذاك للسبب ، أى أصدر الشـيطان زلتهما عن الشجرة ."[٢]

ويقول الشيخ الزمخشرى : " الضمير فى " عنها " للشجرة ، أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها."[٣]

ويقول ابن كثير: فأزلهما الشيطان عنها

أى : بسببها

هنا نلاحظ ما يأتى:

- موضوع السياق الغواية.

- الإغواء مقدمة فيها.

---

[١] البحر :١/١٦٠-١٦١.

[٢] البحر : ١٦٢/١

[٣] الكشاف : ١٢٧/١

- يكون الإغواء فى المنهى عنه ، وهو السبب
- الدافع على مقارفة السبب، وهو الشيطان ، فيكون الحاصل فى النهاية وقوع المعصية ، وتلك حيثيات وقوعها .

*** أية الكهف:**

يقول الشيخ الرازى :" يعنى ما فعلت ما رأيت من هذه الأحوال عن أمرى واجتهادى ورأيى ، وإنما فعلته بأمر الله ووحيه ؛ لأن الإقدام على تنقيص أموال الناس وإراقة دمائهم لا يجوز إلا بالوحى والنص القاطع."[١] . ويقول أبو حيان :" وما فعلته ، أى وما فعلت ما رأيت من خرق السفينة،وقتل الغلام ، وإقامة الجدار ، من اجتهاد منى ورأى ، وإنما فعلته بأمر الله." [٢].

تسوق الآيات ما كان من موسى عليه السلام مع الخضر من حوارات خلاصتها إنكار موسى عليه السلام لما بدر من الخضر من خرق للسفينة ، وقتل للغلام ، وإقامة للجدار ، وهو لا يعلم الحكمة من وراء ما يفعل ، فكان ذلك " حجة على موسى وإعجاله"[٣] . حتى علم الحكمة من وراء ذلك بعد أن أخبره الخضر عليه السلام (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا).

---

[١] مفاتيح الغيب :١٣٨/٢١

[٢] البحر :١٥٦/٦

[٣] البحر:١٥٣/٦

- إن هذه الحكمة التى من أجلها فعل ما أنكره موسى عليه ، كانت وحيا للخضر عليه السلام.
- إن فعل موسى عليه السلام لم يكن مسببا عن دوافع نفسية.
- ولذلك كانت تلقائية الموقف وعقوبته أن يقول (ومافعلته عن أمرى) يعنى لم يكن سببه من عندى . ولذلك رأينا:
  - عن ومعمولها تركيب يتعلق بالفعل" فعل"
  - وأن هذا الفعل منفى (ما فعلته)
  - نفى الفعل إثبات للسببية من غيره

وعلى ذلك يمكن أن نحدد معيار السببية هنا من مفهوم المخالفة الذى حدده هذا التركيب:

ما + فعل + (عن ومعمولها)

فنفى الفعل عن نفسه ليثبته لغيره . فلعلنى أقصد بنفى الفعل دوافعه التى هى فى الحقيقة مسببة عن إيحاء الله له لحكمة بالغة ما كانت لتفهم إلا عن طريق الوحى.

***آية الذاريات:**

يقول ابن كثير :" أى : إنما يروج على من هو ضال فى نفسه ، لأنه قول باطل ، إنما يقادله ويضل بسببه ، ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال ٠٠ لا فهم له٠٠ قال ابن عباس رضى الله عنهما

والسدى ٠٠ يضل عنه من ضل ٠٠٠ وقال الحسن البصرى : يصرف عن هذا القرآن من كذب به"[١] .

ويقول الرازي:"٠٠ وفيه وجوه : أحدها : أنه مدح للمؤمنين، أى يؤفك عن القول المختلف ، ويصرف من صرف عن ذلك القول ، ويرشد إلى القول المستوى ، وثانيها : أنه ذم معناه : يؤفك من الرسول. ثالثها : يؤفك عن القول بالحشر . رابعها : يؤفك عن القرآن ٠٠٠ وقرئ : يؤفك عنه من أفك ، أى كذب"[٢] .

ثم يقول أبو حيان :" ٠٠ وقيل : المأفوك عنه محذوف٠٠ و"عن" هنا للسبب، والضمير عائد على قول مختلف ، أى يصرف بسببه من أراد الإسلام ."[٣]

معرض الحديث هنا الانصراف عن القول المختلف المضطرب: الذى بسببه يتحول" بتوفيق الله إلى الإسلام"[٤] .

نلاحظ هذا التركيب:

" يؤفك عن"

فنراه فى معنى:

" يصرف بسبب كذا"

---

[١] تفسير القرآن العظيم :٢٣٢/٤

[٢] مفاتيح الغيب :١٧٠/٢٨

[٣] البحر : ١٣٥/٨

[٤] البحر : ١٣٥/٨

مما أخاله معيارا لمعنى السبب فى " عن" من قبل أن معنى الكلام التحول من وجهة إلى أخرى ولا يكون ذلك إلا بدافع عن سبب ، وهو من المعانى التى جاءت لهذا الفعل [١] . وعلى ذلك يكون الانصراف عن القول المختلف تحول عنه ، أى بسببه فكان هذا معيار السببية فى "عن" الذى تضمنه تركيب:

الفعل يؤفك " مبنيا للمجهول ومتعلقا بشبه الجملة

+

" عن وضميرها" وهما المتعلقان بالفعل المتقدم

ثالثا : السياقات فى الجمل الاسمية:

آية التوبة:

يقول الرازى :"٠٠ والمعنى أن أباه وعده أن يؤمن ، فكان إبراهيم عليه السلام يستغفر له، لأجل أن يحصل هذا المعنى ، فلما تبين له أنه لا يؤمن ، وأنه عدو الله تبرأ منه وترك ذلك الاستغفار ."[٢]

ويؤكد معنى العلة فى عن فى هذه الآية الكريمة ما جاء به أبو حيان، حيث يقول :" ولما كان استغفار ابراهيم لأبيه بصدد أن

---

[١] القاموس المحيط مادة(صرف)

[٢] مفاتيح الغيب:١٦٧/١٦

يعتدى به، ولذلك قال جماعة من المؤمنين نستغفر لموتانا كما استغفر إبراهيم لأبيه ، بين العلة فى استغفار إبراهيم لأبيه."[١]

يدور معنى الآية الكريمة حول علة استغفار إبراهيم لأبيه . وقد رأينا كيف أن هذا المعنى الذى تضمن عله الاستغفار ، قد جاء على نحو ما قدم من تركيب:

(ما نافية+ كان واسمها المصدر المضاف لفاعله +إلا + عن ومعمولها)

وهنا نلاحظ أن لفظ العلة هو اللفظ الذى أجراه المفسرون على معنى "عن " ولم يذكروا لفظ السبب فى هذا السياق . فما مفهوم العلة إذا؟

لعلنا نفهم العلة عند سيبويه فى حديث المفعول لأجله . يقول سيبويه: " هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر٠٠ ولأنه تفسير لما قبله ، لم كان ؟ ، وليس بصفة لما قبله ٠٠ وذلك قولك فعلت ذاك حذار الشر ، وفعلت ذاك مخافة فلان٠٠٠ وفعلت ذاك أجل كذا وكذا، فهذا كله ينتصب ، لأنه مفعول له ، كأنه قيل : لم فعلت كذا وكذا ؟ فقال : لكذا وكذا ، ولكنه لما طرح اللام عمل فيه ما قبله٠٠ "[٢]

---

[١] البحر :١٠٥/٥

[٢] الكتاب: ١٨٤/١-١٨٦

فكأن معنى العلة عند سيبويه عذر وتفسير وجواب عن سؤال لم ، ثم هى بمعنى لام التعليل ولذلك قال أبو هلال العسكرى:" وقد أجمع أهل العربية أن قول القائل :لم؟ مطالبة بالعلة لا بالسبب."[١] . فهذا ما أحسبه من كلام سيبويه . ثم يقول أبو هلال :" والعلة فى اللغة ما يتغير حكم غيره به، ومن ثم قيل للمرض علة ، لأنه يغير حال المريض ، ويقال للداعى إلى الفعل علة له . تقول: فعلت كذا لعلة كذا ."[٢] ثم يذكر مفهوم العلة عند بعض المتكلمين فيقول :" وعند بعض المتكلمين أن العلة ما توجب حالا لغيره، كالكون والقدرة ... والعلة فى الفقه ما تعلق الحكم من صفات الأصل المنصوص عليه عند القايس."[٣]

وعلى ذلك يمكن أن نسأل : ما علة استغفار إبراهيم لأبيه ؟ . ينقل ابن كثير عن قتادة قوله:" ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يانبى الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ، ويصل الأرحام ، ويفك العانى ، ويوفى بالذمم ، أفلا نستغفر لهم ؟ قال : فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " بلى والله" ، إنى لاستغفر لأبى كما استغفر ابراهيم لأبيه " فأنزل الله (وما كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِروا لِلْمُشْرِكِينَ) حتى بلغ قوله (الجحيم) ، ثم عذر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ، فقال(وما

---

[١] الفروق فى اللغة :ص :٦٤

[٢] الفروق : ص :٦٥

[٣] الفروق :ص :٦٥.

كان استغفار إبراهيم لأبيه) الآية ."[1] لأن إبراهيم عليه السلام قد وعده أبوه بالإيمان ، فكان يستغفر له ، حتى تبين له أنه عدو الله.

وهنا نسأل ، ما مدى صحة ما قدمته لنا هذه النصوص من مفهوم العلة؟ نجيب عن هذا السؤال بالأسئلة التابعة المشفوعة بإجاباتها ، لنقف على صحة هذا الذى نسأل عنه.

نقول:

أولا : لم كان استغفار إبراهيم لأبيه؟

لموعده وعدها إياه

ثانيا : ما العذر الذى قدمه الله سبحانه لإبراهيم عليه السلام

هو ذاك الوعد الذى بينا

ثالثا : هل تغير حال إبراهيم بعدما عرف أنَّ أباه عدوٌّ لله؟

نعم . بدليل أنه تبرأ منه

إن الإجابات التى أمامنا تؤكد أن العلة:

- إجابة عن سؤال : لم.
- وأنها عذر
- وأنها تغيير حال

---

[1] تفسير القرآن العظيم :٣٩٤/٢

وهذا ما أراه معيارا للعلة فى " عن" عندما تكـــون فـــى الجملـــة الاسمية ، ولذلك لا يمنع أن نؤول قوله تعالى - على سبيل التخيـــل (وما كان استغفار ابراهيم إلا عن ٠٠) ، على هذا النحو:

- (وما كان استغفار إبراهيم إلا) علة لوعد وعده أبوه إياه
- (وما كان استغفار إبراهيم إلا) إجابة عن : لم استغفر إبراهيـــم لأبيه) .
- (وما كان استغفار إبراهيم إلا) عذرا عن الاستغفار لَمّا كـــــان يظن أنه سيؤمن.
- (وما كان استغفار إبراهيم إلا) تغييرا من حال إلى حال،مـــن حال استغفار إلى حال تبرأ فيها من أبيه.

آية هود :

ينكر قوم هود - بهتانا وظلما - أنه لم يأتهم " بحجة واضحـــة تدل على صدقه ، وقد كذبوا فى ذلك وبهتوه ، كما كذبت قريـــش٠٠ وقيل : عن للتعليل، كقوله تعالى : (إلا عن موعدة وعدها إيـــاه) ، فتتعلق بتاركى ، كأنه قيل : لقولك . وقد أشار إلى التعليل والســـبب فيها ابن عطيه ، فقال : أى لا يكون قولك سببا لتركنـــــا ، إذ هـــو مجرد عن آيه."[١]

فلم كان عدم تركهم آلهتهم؟

---

[١] البحر :٥/٢٣٣

لخلو ما جاء به من البينة الملجئة للإيمان على حد زعمهم ، فعلـــه الترك الخلو من الآية.

أما معنى السبب فمن قبل القول ، أى لا يكون القـــول ســـببا فـــى الترك.

ثم ما عذرهم – فى نظرهم - فى عدم ترك آلهتهم؟

للخلو من الآية والدليل فى زعمهم

على ذلك يمكن القول بأن السبب " لا يتأخر عن مسببه علـــى وجه من الوجوه "[1] فينبنى على ذلك أن يكون هذا الترتيب:

أ- القول.

ب- ثم الترك

ولذلك كان المعنى: لم يكن القول سببا فى الترك ، فيكون:

- القول سببا.
- والترك مسببا

أما معنى العلة هنا ففى:

- الخلو من الآية علة.
- الترك معلولا

---

[1] الفروق :ص:٦٥

ولم يغفل النحاة عن معنى العلة فى " عن " فذكروا أنها تكون على ثلاثة أوجه ، منها : أن تكون حرف جر فإن كانت حرفا ، ذكر لها عشرة معان[١] ثم ذكروا التعليل واحدا من معانيها ، وذكروا بعض ما ذكرت من آيات استشهدوا بها على معنى العلة فيها.

لعل أهم ما ننتهى إليه بعد هذا التحليل للنصوص التى قدمنا ، يمكن أن نجمله على النحو التالى:

أولا : صنفنا النصوص التى قدمناها إلى

- جمل فعلية
- جمل اسمية

ثانيا: خصائص " عن" فى هذا التصنيف

- الخصائص المعنوية فى الجملة الفعلية.

تكون بمعنى السبب فى السياقات التى عرضنا لها.

- الخصائص اللغوية المصاحبة فيها

تتعلق عن بالفعل المتقدم عليها : إما مثبتا، أو منفيا ، أو مبنيا للمجهول على النحو الذى رأينا.

* الخصائص المعنوية فى الجملة الاسمية

---

[١] المغنى : ١/١٤٧-١٤٨

رأينا عن فيها بين السبب والعلـــة ، وبيَّنـــا وجـــه العلـــة والسبب.

* الخصائص اللغوية المصاحبة فيها

تعلق " عن " باسم كان المصدر المضاف

أو تعلق "عن" باسم الفاعل

ثالثا: معيار السببية فى " عن" يتمثل فيما يأتى:

أ- الحمل على المنهى عنه المتقدم
ب- من مفهوم المخالفة

فى الجمل الفعلية

رابعا : معيار العلة فى"عن"

العذر والتفسير والجواب

فى الجمل الاسمية

ولعلنى اختتم حديث " عن " وأنا أتصور أن هذا الذى قدمنا مـــن تصنيف وخصائص فى المعنى: وفى اللغة ، ومن معيـــار الســـبب والعلة ، ربما كان له تأثير إيجابى على فهم النصوص ومن ثم على استنباط الأحكام.

الفصل الرابع

الفاء

الفاء

يحدد سيبويه أوجه الاستعمال فى الفاء فيقول :" اعلم أن ما انتصب فى باب الفاء ينتصب على إضمار " أن" . وما لم ينتصب ، فإنه يشرك الفعل الأول فيما دخل فيه ، أو يكون فى موضع مبتدأ ، أو مبنى على المبتدأ ، أو موضع اسم مما سوى ذلك "(١)

معنى ذلك أن الفاء تكون:

أ- متجردة من معنى العطف، وهى التى تسمى فاء السبب ، بيد أنها لا تخلوا من معنى الترتيب (٢)

وربما يجدر أن نشير هنا إلى ما قاله ابن هشام فى حديث خصه بالفاء حين ذكر أن " فاء السببية لا تستلزم التعقيب ، بدليل صحة قولك (إنْ يُسْلِمْ فهوَ يَدْخُل الجنَّة) ومعلوم ما بينهما من المهلة."(٣) . وأرى أن الفاء هنا ، لم تفارق معنى التعقيب ، وإن طالت هذه المهلة التى ذكر؛ إذ هى مهلة من الطبيعى أن يطول أمدها أو يقصر. فهل لو قصرت كانت متضمنة معنى التعقيب؟. القياس أن نقول: نعم . فينبغى على ذلك أن يكون القياس- لو افترضنا طول الأمد - أن نقول : نعم أيضا فالإسلام سبب دخول الجنة ، فلا يكون دخول الجنة إلا عقيب الإسلام بمهلة قصيرة أو

---

(١) الكتاب : ٤١٨/١.والمقتضب : ١٤/٢

(٢) الكافية:٣٦٦/٢.

(٣) المغنى :١٦٢/١

غير قصيرة . وربما اقتضى ذلك أن نقول بنسبية التعقيب فى وقوع الأحداث عامة.

ب- أو تكون عاطفة فتكون موضوعة لدخول الثانى فيما دخل فيه الأول متصلا.[١] فإن جاءت على هذا المعنى" وقع ما قبلها علة وسببا لما بعدها، نحو قولك: أعطيته فشكر ، وضربته فبكى . فالإعطاء سبب الشكر، والضرب سبب البكاء. والمسبب يقع ثانى السبب، وبعده متصلا به[٢].

ومن خصائص فاء العطف أنها " تعطف مالا يصلح أن يكون صلة ٠٠٠ على ما يصلح أن يكون صلة ، لاشتماله على الضمير ، نحو : الذى يطير فيغْضَب زيدٌ الذبابة٠٠ ولو قلت : ويغضبُ زيدٌ، أو ثم يغضب زيد، لم يجز ، لأن الفاء تدل على السببية ، فاستغنى بها عن الرابط."[٣]

وجمله القول فى الفاء أنها:

أ- عاطفة فتفيد:

- الترتيب.
- التعقيب.
- السبب.

---

(١) شرح المفصل : ٩٥/٨

(٢) شرح المفصل :٩٥/٨

(٣) شرح ابن عقيل :٢٢٨/٢

ب- تكون رابطة للجواب ، وذلك فى مواضع معروفة فى كتب النحو.

ج- وتكون زائدة . وهذا لم يقل به سيبويه .[1]

وللوقوف على حقيقة السبب رأينا أن نرصد هذه النصوص من النص الكريم على النحو التالى:

قوله تعالى(**قَالَتْ: فَذَلِكُنَّ الَّذى لُمْتُنَّنِى فيه)** [يوسف ،٣٢]

(فتُوبُوا إِلَى بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُم)(البقرة: من الآية٥٤)

(فوَكَزَهُ مُوسَى فقَضَى عليه)(القصص: من الآية١٥)

(فتَلَقَّى آدم مِن رَبِّه كَلِماتٍ فَتَاب عَلَيْه) (البقرة: من الآية٣٧)

(ولَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِى جَهَنَّم) (الاسراء ٣٩)

(ولا تَقْرَبَا هَذِه الشَّجَرَةَ فتَكُونَا مِن الظَّالِمينَ) (البقرة: من الآية٣٥)

(وإنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِنَ الْغَائِطِ ، أَوْ لَامَسْتُم النِّسَاء.. فَتَيَمَّمُوا) (النساء ٤٣)

(أصَابَها وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ) (البقرة: من الآية٢٦٥)

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتَّبِعُونِى) (آل عمران ٣١)

(فإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا)(البقرة: من الآية٢٧٩)

---

[1] المغنى : ١/١٦١-١٦٥.

(فَأَصَابَهَ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ) (البقرة ٢٦٦)

التراكيب فى هذه النصوص:

الجملة الاسمية: على غير قصد ، أو اختيار، جاءت الفاء مرة واحدة فى جملة اسمية ، قبل اسم الإشارة " ذلك" على هذه الصورة:

[ف + ذ لكن]

فما علاقة السياق بهذا التركيب؟

يقول الرازى :" فإن قيل: فلم قالت :(فذلكن) ، مع أن يوسف عليه السلام كان حاضرا؟

والجواب عنه من وجوه : الأول :٠٠٠ أشارت بصيغة ذلكن إلى يوسف بعد انصرافه من المجلس٠٠ والثانى ٠٠٠ أن النسوة كن يقلن إنها عشقت عبدها الكنعانى ، فلما رأينه ووقَعْن فى تلك الدهشة، قالت : هذا الذى رأينموه ، هو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فيه٠٠٠"[1] فلعلنا نلحظ معنى السببية هنا، فضلا عن تأكيد أبى حيان لها ، حيث يقول : "واسم الإشارة تضمن الأوصاف السابقة فيه ، كأنه قيل: الذى قطعتن أيديكن بسببه ، وأكبرتنه ، وقلتن فيه ما قلتن من نفى البشرية عنه ، وإثبات الملكية له ، هو الذى لمتننى فيه ، أى فى محبته وشغفى به"[2].

---

[1] مفاتيح الغيب : ١٠٤/١٨

[2] البحر :٣٠٦/٥

وما قول ابن كثير ببعيد عن القولين السابقين ، إنه يقـــول:" وقد ذكر غير واحد أنها قالت لهن بعدما أكلن ، وطابت أنفســهن ، ثم وضعت بين أيديهن أترجا "، وآتت كل واحدة منهن سكينا : هل لكن فى النظر إلى يوسف؟ قلن : نعم ، فبعثت إليه تأمره: أن اخرج إليهن . فلما رأيئه جعلن يقطعن أيديهن ، ثم أمرته أن يرجع ليرينـه مقبلا ومدبرا ، فرجع ، وهن يحززن فى أيديهن ، فلمـــا أحســس بالألم، جعلن يولولن ، فقالت : أنتن من نظرة واحدة فعلتـــن هــذا، فكيف ألام أنا؟ ."[1] إنه اعتراف وإقرار بالسبب الذى مـــن أجلـه قارفت فعلتها مع يوسف عليه السلام . إن هذا السبب هو مضمــون اسم الإشارة ،أو هو فحوى المشار إليه ، سواء أكان هيئة يوســـف عليه السلام ، أم ما وقع فيه النسوة من دهشة وانبهار.

على ذلك يمكن أن نسجل معيار السببية فى الفاء على النحـو التالى:

أ- أن يكون هناك شئ ما جد عظيم ، فأشير إليه بما يدل على هذا المعنى (ذلكن)

ب- إن حروف اسم الإشارة بنية تركيبيـــة ، تضمنـت دلالـــة الموقف كله كما يلى:

- "ذا" إشارة على نحو ما تقدم فى العرض.

---

[1] تفسير القرآن العظيم :٤٧٦/٢

- "اللام" لبعد القريب تعظيما لشأنه ، إذ أحد الأطراف نبى
- " كن" ضمير الإناث، فهن محور الموقف ، بهن بـــدأ ، وبهن انتهى

ج- جاءت الفاء قبل هذا البناء التركيبى مجسدة إيحاءات كل وحــدة فى التركيب، ومن ثم الدلالة السياقية فكان ذلك متضمنا معنـــى السبب، لذا أمكن تصور المسألة هكذا:

بسبب كيت وكيت ، كان كذا وكذا

- فكانت الهيئة التى خلق الله يوسف عليها ، وما كان لـــها من تأثير على النسوة سببا.
- ثم ما آل إليه حال النسوة من دهشة ، وما اعتورهن مـــن تقطيع أيديهن مسببا ، وهو لا شك تبرير أو لعله محاولـة تبرير لما أقدمت عليه امرأه العزيز من وجهة نظرها.

الجملة الفعلية:

جاء نمط الجملة الفعلية على غير وتيرة واحـــدة فـــى هـــذه النصوص ؛ لذلك رأينا تصنيفها على ما نرى:

أ- فعلها ماضٍ

قوله تعالى : (فَتلقَّى أدَمُ مِن رَّبِّه كَلِماتٍ فَتَابَ عَلَيْه)

(أَصَابَهَا وَابلٌ فأتتْ أُكُلَهَا ضِعْفينِ)

(فَأَصَابَه إعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ)

(فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ)

أ- جملة شرطية:

(فَتُوبُوا إلَى بَارِئِكُم فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ)

(وإِنْ كُنْتم مَرْضَى٠٠ أَوْ عَلَى سَفَرٍ٠٠ فَتيَمَّمُوا)

(٠٠إِنْ كُنتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُونِى٠٠)

(فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا٠٠٠٠٠)

ج- فعل مضارع منهى

(ولا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتُلْقَى فِى جَهَنَّمَ)

(وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِيْنَ)

أولا: الفعل الماضى:

عن الفاء فى قوله تعالى: (فَتَابَ عَلَيه) ، يقول أبو حيان:" ٠٠ وأعقب الصفة الأولى - يقصد " التواب" - بصفة الرحمة ، لأن قبول التوبة سبب رحمة الله لعبده ، وتقدم التواب لمناسبة " فتاب". "[١]

وفى قوله (فَاحْتَرَقَتْ):

---

[١] البحر : ١٦٧/١

يقول أبو حيان:"٠٠٠ وفى العطف بالفاء فى قوله (فأصابـها إعصار)، دليل على أنها حين أزْهَت وحسنت للانتفاع بها ، أعقبـها الإعصار.(فاحترقت)، هذا الفعل مطاوع لأحرق، كأنه قِيلَ:فيه نـار أحرقتها فاحترقت وهذه المطاوعة ، هى انفعال فى المفعول ، يكون له قابلية للواقع به، فيتأثر له."[١] . هذا كلام فحواه سببية الفاء.

وفى قوله (فوكَزه مُوسَى فَقَضَى عَلَيه)

يقول أبو حيان : وروى أنه لما اشتد التناكر بينـهما ، قـال القبطى لموسى: لقد هممتُ أَنْ أحمله عليك، يعنى الحطب ، فاشـتد غضب موسى ، وكان قد أُوتى قوة ، فَوَكزة فَمَات."[٢] فكان الوكـز سبب الموت. ويقول الرازى:" (فَقَضَى عليه) ،أى أماتـه وقتلـه"[٣] وذلك بسبب وكزه إياه.

نلاحظ هنا أن الأفعال كلها ماضية ،سواء المقترنة بالفـاء، أم المتقدمة عليها ، هكذا:

أولا : فتلقى ٠٠ + فتاب

ثانيا : أصابها٠٠+ فآتت

ثالثا : وكزة ٠٠+ فقضى

---

[١] البحر :٢/٣١٥

[٢] البحر :٧/١٠٩

[٣] مفاتيح الغيب :٢٤/٢٠٠

- كل الأفعال المتقدمة على الفاء سبب فيما بعدها[١]
- إن معنى العطف لم يفارق هذه الفاء.
- جاءت الفاء عاطفة جملة فى النماذج الثلاثة.
- إن معنى التعقيب ظاهر - أيضا- بنسبيته فى الحـــدوث والوقوع
- اقتران الفاء بالمســـبب ذى الدلالـــة علـــى المطاوعـــة والانفعال.

ثانيا: الجملة الشرطية:

فى قوله تعالى (فتوبوا... فاقتلوا..)

يقول الرازى :" ما الفرق بين الفاء فى قوله(فتوبوا) والفـاء فى قوله (فاقتلوا)؟ الجواب : أن الفاء الأول للسبب لأن الظلم سبب التوبة ، والثانية للتعقيب."[٢] . وهذا فحوى ما ذهب إليه أبو حيـــان أيضا ، حيث يقول :" الفاء فى (فتوبوا) معها التسبيب لأن الظلـــم سبب للتوبة ."[٣] بيد أنه يضيف قائلا :" والفاء فى قوله (فـــاقتلوا) إن قلنا : إن التوبة هى نفس القتل ، وإن الله تعالى جعل توبتهم قتـل

---

(١) هذا المعنى أشار إليه أ/الدكتور على أبو المكارم فى كتابة: إعراب الأفعال ،ص:١٤٤

(٢) مفاتيح الغيب :٣/٧٥.

(٣) البحر : ١/٢٠٦

أنفسهم ، فتكون هذه الجملة بدلا من قوله (فتوبوا) ، والفـــاء كـــهى فى: (فتوبوا) معها السببية."[١]

(فتوبوا + فاقتلوا)

صورة تعرض لنا عقد السببية والمسببية فى المستقبل ؛ لأنها فى معنى الشرط ، وقدرت الأداة على أنها (إن) ؛ إذ الحذف مـــن اختصاصها، لأنها (أم) فى الباب . ويؤكد ابن الحاجب هذا الكـــلام بقوله :" وكلم المجازاة تدخل على الفعلين لســـببية الأول ومســـببية الثانى يسميان شرطا وجزاء."[٢]

وعن آية النساء (فتيمموا)

يقول أبو حيان :" و(فلم تجدوا) معطوف على فعل الشـــرط (فتيمموا صعيدا طيبا) ، هذا جواب الشرط . أمر الله تعالى بـــالتيمم عند حصول سبب من هذه الأسباب الأربعة وفقدان الماء"[٣] ويقـــول الزمخشرى :" فإن قلت : كيف نظم فى سلك واحد بين المرضــــى والمسافرين ، وبين المحدثين والمجنبين ، والمرض والسفر ســـببان من أسباب الرخصة ،، والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابـــة سبب لوجوب الغسل ؟ قلت : أراد سبحانه أن يرخص للذين وجـــب عليهم التطهر وهم عادمون الماء فى التيمم بالتراب ، فخـــص أول

---

[١] البحر : ٢٠٨/١

[٢] الكافية : ٢٥٢/٢

[٣] البحر :٢٥٩/٣

من بينهم مرضاهم وسفرهم ، لأنهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الأسباب الموجبة للرخصة ..."[١] .

ويقول الرازى :" واعلم أنه تعالى لما ذكر هذه الأسباب الأربعة قال (فلم تجدوا ماء)[٢] .

نلاحظ ما يأتى:

إن + فعل ماض(كنتم) + أمر (فتيمموا)

وهذا يعنى : * حدوث الأسباب أولا ، لذا قال (كنتم)

- ثم يأتى المسبب الذى هو التيمم فى عقب السبب بدلالة الفاء التى لم تفقد دلالة العطف.
- إن الوجوب هو غاية الأمر فى التركيب (فتيمموا)

وعن قوله تعالى (.. إن كنتم تحبون الله فاتبعونى)

يقول الشيخ الرازى :" والآية مشتملة على أن الإلزام من وجهين :أحدهما : إن كنتم تحبون الله فاتبعونى ، لأن المعجزات دلت على أنه تعالى أوجب عليكم متابعتى ، الثانى : إن كنتم تحبون أن يحبكم الله فاتبعونى لأنكم إذا اتبعتمونى فقد أطعتم الله ، والله تعالى يحب كل من

---

[١] الكشاف :٥١٥/١

[٢] مفاتيح الغيب: ٩١/١٠

أطاعة.."[1] ويقول أبو حيان :" رتب تعالى على محبتهم له ، اتباع رسوله محبته لهم"[2] فإن لم نجد تصريحا بسببية الفاء ، فالإشعار بهذه السببية مستفاد من كلام الشيخين ، فإن كانت المعجزات دلت على وجوب متابعته صلى اله عليه وسلم ، فكان ذاك سببا لحب الله لهم . فكأن شيئا ترتب على شئ من قبيل السببية ، كما ألمح إلى ذلك أبو حيان.

وفى قول الله (فإن لم تفعلوا فأذنوا)(البقرة: من الآية٢٧٩)

يقول أبو حيان :" ظاهرة فإن لم تتركوا ما بقى من الربا. وسمى الترك فعلا... وقال الرازى : فإن لم تكونوا معترفين بتحريمه ، فأذنوا بحزب من الله ورسوله ."[3] فالحرب من الله ورسوله مسببه عن عدم اعترافهم بتحريم الربا الذى هو سبب.

إن + فعل الشرط المنفى (السبب) + جواب الشرط (المسبب)

ثالثا: المضارع المنهى:

قوله (ولا تَجْعلْ مَعَ اللَّهِ إلهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِى جَهَنَّمَ)

يقول الرازى :" ثم إنه تعالى ذكر فى الآيه الأولى أن الشرك يوجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا ، وذكر فى الآية

---

[1] مفاتيح الغيب : ١٦/٨-١٧

[2] البحر : ٤٣/٢١

[3] البحر : ٣٣٨/٢

الأخيرة أن الشرك يوجب أن يلقى صاحبه فى جهنم ملوما مدحورا، فاللوم والخذلان يحصل فى الدنيا، وإلقاؤه فى جهنم يحصـــل يـوم القيامة ."[1]

ويقول أبو حيان:" وكرر تعالى النهى عن الشـــرك. ففـى النهى الأول، فتقعد مذموما ، وفى الثانى فتلقى فـى جـهنم ملومـا مدحورا."[2]

نلاحظ ما يأتى :

١- النهى عن الشرك سبب الإلقاء فى جهنم.

٢- النهى عن الشرك تضمنه هذا التركيب:

" لا" الناهية+ الفعل المضارع " تجعل + جـار ومجـرور متعلق بـ" يجعل" + مفعول به (إلها)

٣- الفعل جعل " تعدى إلى مفعول واحد ، وذلـك يعنـى أنـه بمعنى الإنشاء ، أى كان الإنشاء فى الدنيا ، فكان الإلقـاء فـى جهنم فى الآخرة ، مما يلفت إلى طـول الأمـد بيـن السـبب والمسبب.

وفى قوله (ولا تَقْرَبا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)

---

[1] مفاتيح الغيب : ١٧٢/٢٠.

[2] البحر : ٣٨/٦.

يرى الشيخ الرازى أنه " لا شبهة فى أنه نهى " ، ولكنه بعد ذلك يبين من خلال أقوال غيره ما إذا كان هذا النهى نهى تحريم أم نهى تنزيه [١]. ثم يقول:" اتفقوا على أن المراد بقوله تعالى(فتكونا من الظالمين) هو أنكما إن أكلتما فقد ظلمتما أنفسكما.."[٢] . فجعله فى معنى الشرط، على سبيل السبب والمسبب . وقد أكد أبو حيان هذا ، إذ يقول:" ٠٠ وإنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نهينا عنه سبب للعقوبة ."[٣] ويقول بعد ذلك :" (فتكونا) منصوب جواب النهى، ونصبه عند سيبويه والبصريين بأن مضمرة ، وعند الجرمى بالفاء نفسها ، وعند الكوفيين بالخلاف٠٠٠ والأول أظهر لظهور السببية "[٤]

" لا" الناهية + فعل مضارع + جواب النهى منصوبا بعد فاء السبب.

- فجاءت صيغة النهى ههنا سببا.
- والمسبب كونه على نحو ما.

خلاصة معيار السبب فى الفاء:

---

[١] انظر مفاتيح الغيب : ٦/٣

[٢] مفاتيح الغيب :٦/٣

[٣] البحر :١٥٨/١.

[٤] البحر : ١٥٨/١-١٥٩.

١- الأمر العظيم يشار إليه . تسبق الإشارة بالفاء فتكـــون فـــى معنى السبب

الأمر العظيم + الفاء+ اسم الاشارة ← سببية الفاء.

٢- الشرط وما كان فى معناه عقد السببية والمسببة، سببية الأول ومسببية الثانى.

٣- النهى نوع من الشرط ، فالمنهى عنـــه ســـبب ، والكـــون المترتب عليه مسبب.

٤- السبب أولا والمسبب ثانيا وليس شرطا أن يكون المســـبب عقيب السبب فى فترة وجيزة ، بل ربما طال الآمد بينـــهما مـــا بين الدنيا والآخرة.

٥- إن العلاقة بين السبب والمسبب فى صيغة النـــهى ، تكـــون بحيث " أن النهى عن الفعل يقتضى الانتهاء دائما ، وأن الكـــف لا يتحقق إلا بترك المنهى عنه فى جميع الأوقات"[١]

---

[١] د. طاهر حمودة : دراسة المعنى عند الأصوليين ، ص:٨٢، الدار الجامعية للطباعة والنشر /الاسكندرية.

الفصل الخامس

اللام

اللام

التعليل من المعانى التى عدها النحاة للام . فذكروا لذلـــك أمثلة من الشعر ، كقوله:

وإنِّى لتَعْرونِى لذِكْراكِ هِزَّةٌ كَمَا انْتَفَض العُصْفورُ بلَّله القَطْرُ[١]

وكقوله:

ويومَ عقرتُ للعذَارَى مطِيَّتِى فَيا عَجَباً مِنْ كُورِها المُتحمَّلِ[٢]

وذكروا كذلك أمثلة من النص الكريم نثبتها هنا، كما نـــأتى بغيرها، تعميقا للدرس ، من أجل الوصول إلى معايير لمعنى العلـــة فى اللام ، وإن كانت لا تعدم معنى السببية أحيانا.

النصوص:

قوله تعالى:

(ثُمّ يَقُولونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بهِ ثَمنًا قَليلاً)(البقـــرة: مـــن الآية٧٩)

(قالوا أتُحَاجُّوهُم بِمَا فَتَح الله عَليكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِه) (البقرة ٧٦)

(ثُمّ صَرَفَكُمْ عَنْهُم لِيبْتَلِيكُم ولقد عَفَـــا عنكُـمْ)(آل عمـــران: مـــن الآية١٥٢)

---

[١] هو من كلام أبي صخر الهذلي . أوضح المسالك : ٢/٢٢٧، وشرح ابن عقيل : ٢/٢٠.

[٢] المغني : ١/٢٠٩

(إنَّما يَدْعُو حِزْبَه لِيكُونُوا مِنْ أَصْحَاب السَّعِير)(فاطر: من الآية٦)

(فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ)(القصص: من الآية٢٤)

(قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير) (القصص ٢٤)

(لِيَجْزِيكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنا)(القصص: من الآية٢٥)

(يُرِيد اللهُ لِيبينَ لَكُم ويَهْدِيَكُم) (النساء ٢٦)

التراكيب وهذه النصوص:

جاءت التراكيب فى هذه النصوص على النحو التالى:

أولا: اللام + فعل مضارع (ليشتروا)

اللام + فعل مضارع (ليحاجوكم)

اللام + فعل مضارع (ليبتليكم)

اللام + فعل مضارع ناقص(ليكونوا)

اللام + فعل مضارع (ليجزيك)

اللام + فعل مضارع (ليبين)

ثانيا :

اللام + ضمير (لهما)

ثالثا :

اللام + اسم موصول (لما)

بعد هذا العرض لتراكيب هذه النصوص استوقفنى - وأنا أراجع آراء بعض النحاة عن اللام فى مصنفاتهم - نص طويل لابن يعيش، أظن أنه قدم فيه ما لم نره عند غيره من سابقيه ومن خالفيه، يقول النص :" أعلم أن اللام من الحروف الجارة ، لا تكون إلا كذلك ... وموضعها فى الكلام الإضافة ولها فى الإضافة معنيان : المِلْك والاسْتِحقاق.. لأنها قد تدخل على ما لا يُملك ، وما يُملك ، وذلك نحو قولك : الدار لزيد ، فالمراد أنه يملك الدار : وكذلك الغلام لعمرو ؛ لأنهما مما يملك . وتقول : السرج للدابة ، والأخ لعمرو ، فالمراد بذلك الاستحقاق بطريق الملابسة . والمعنى بالاستحقاق ، اختصاصه بذلك ، ألا ترى أن السرج مختص بالدابة ؟ ... وقيل أصل ذلك الاختصاص ، واستعمالها فى الملك لما فيه من الاختصاص... واللام أصل حروف الإضافة ، لأن أخلص الإضافات وأصحها ، إضافة الملك إلى المالك، وسائر الإضافات تضارع إضافة الملك...

فأما اللام الداخلة على الأفعال الناصبة لها ، نحو : جئت لأكرمك .. فإنها حرف الجر، وليست من خصائص الأفعال.. وحقيقة نصب الفعل بعدها ، إنما هو بأن مضمرة ، والتقدير: جئتك لأن أكرمك ، و" أن" والفعل مصدر ، وذلك المصدر فى موضع

خفض باللام، والجار والمجرور فـــى موضـــع نصـــب بـــالفعل ، ومعناها الاختصاص. والمراد أن مجيئه مختص بالإكرام"[١].

وأحسب ابن يعيش أول من ذكر أن كل معانى الـــلام التـــى حوتها كتب النحو ، وكتب اللامات على وجه الخصوص ، مردهـــا إلى إلى معنيين: الملك والاستحقاق . ثم فسر ذلك على نحو ما قـــدم فى هذا لنص الذى أمامنا ، فهل ياترى سنرى ذلك عند النظر فـــى كلام بعض المفسرين ، ونحن نراجع عندهم هذه النصـــوص التـــى أثبتناها؟ سنرى.

قوله(لِيَشْتَرُوا)

يقول الرازى:" تنبيه على نهاية شقاوتهم ، لأن العاقل يجـــب أن لا يرضى بالوزر القليل فى الآخرة لأجل العظيم فى الدنيـــا... ما فعلوا هذا التحريف ديانة ، بل إنه فعلوه طلبا للمال" [٢] إنه يقول: لأجل ... طلبا للمال. إنه يقصد التعليل. يؤكد ذلـــك قـــول أبـــى حيان:" علة فى القول ، وهى لام كى.. وهى مكسورة لأنها حرف جر، فيتعلق بـــ: يقولون". [٣] . وعلى ذلك يكون التقدير:

يقولون ← لاشترائهم.

علة ← معلول

---

[١] شرح المفصل:٨/٢٥-٢٦.

[٢] مفاتيح الغيب:٣/١٢٨-١٢٩

[٣] البحر :١/٢٧٧

- يُراد أولا يُراد.
- السبب سابق.
- لا يدور السبب والمسبب وجودا وعدما

فالتحديث ← سبب وهو سابق ، وكان يمكن أن يكـــون ، ثم لا تكون محاجة . وعلى ذلك يكون السياق هو المســـئول عن تردد بعض الأدوات بين معنى وآخر.

وعن قوله (لِيَبْتَلِيَكُمْ):

يقول أبو حيان: " أى ليمحص صبركم علـــى المصـــائب ، وثباتكم على الإيمان... وقيل معنى " ليبتليكم": أى لينزل بكم ذلـك البلاء"[١] ظاهر الكلام أن اللام علة هنا ، تبعا للأصول التى قال بها النحاة والمتكلمون . وقد مرت بنا

علة الصرف ← الابتلاء

علة ← معلول

وقوله (لِيَكُونُوا):

يقول أبو حيان :" ونقول : هو مما عبر فيه عن السب بما تسـبب عنه دعاؤهم إلى الكفر، وتسبب عنه العذاب"[٢] هذا يعنى أن الـــلام

---

[١] البحر :٧٩/٣
[٢] البحر :٣٠٠/٧

للسبب .. فهل يمكن أن نطبق معيار السبب الذى عرفنا قبلا؟

نقول:

- الدعاء ← سبب
- التعذيب ← مسبب
- الدعاء أولا
- كان يمكن أن يكون من الشيطان دعاء لحزبة ، ثم لا يكون منهم استجابة ، فلا يعذبوا .

وفى قول الله عز وجل : (لِيَجْزِيَكَ)

يقول أبو حيان :" فسقى لهما ، أى سقى غنما لأجلهما"[١] فاللام - إذا - للتعليل

السقى ← علة

الجزاء ← معلول

تلازم العلة والمعلول أى السقى والجزاء

وفى قوله (لِيُبَيِّنَ)

يقول الزمخشرى :" أصله يريد الله أن يبين لكم، فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين"[٢] ويقول أبو حيان :" والمعنى : يريد الله تكليف ما

---

(١) البحر :١١٣/٧

(٢) الكشاف :٥٠١/١

كلف به عباده مما ذكر ، لأجل التبيين لـــهم بهدايتـــهم"[١] فقولـــه : (لأجل) ، يعنى أن اللام للتعليل / كما أشار سيبويه فى حديثه عـــن المفعول لأجله" فعلت ذاك أجل كذا وكذا ..[٢] لأنه موقوع له كمـــا يقول سيبويه أيضا ،فتكون تكليفاته سبحانه علة، وتبينه لها معلـــولا فتدور العلة مع المعلول، لا يتفضل أحدهما عـــن الآخـــر وجـــودا وعدما، كما يقول أهل العلم.

أما قوله (فَسَقَى لَهُمَا)

يقول الرازى :" أى سقى غنمهما لأجلهما٠٠)[٣] وأكد أبو حيان كون اللام للتعليل ، حيث قال :" فســـقى لـــهما ، أى ســـقى غنمـــا لأجلهما"[٤]

وقوله (إنِّى لِمَا٠٠)

يقول الرازى :" وفى الآية وجه آخر ، كأنه قال : رب إنى بســـبب ما أنزلت إلى من خير الدين ، صرت فقيرا فى الدنيا ، لأنه كـــان عند فرعون فى ملك وثروة ، فقال ذلك رضا بهذا البدل وفرحا بـــه وشكرا له ، وهذا التأويل أليق بحال موسى عليه السلام"[٥]

---

[١] البحر :٢٢٥/٣

[٢] الكتاب :١٨٥/١

[٣] مفاتيح الغيب :٢٠٥/٢٤

[٤] البحر :١١٣/٧

[٥] مفاتيح الغيب :٢٠٥/٢٤-٢٠٦

وينقل أبو حيان عن الزمخشرى قوله :" وعدى باللام"فقير"؛ لأنه ضُمِّن معنى: سائل وطالب ويحتمل أن يريد : أى فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلىّ من خير الدين ، وهو النجاة من الظالمين."[١]

وعلى ذلك نسجل ما يأتى:

أولا: نعلق شبه الجملة [لـ + هما] بالفعل (سقى) ، حيث أضاف شبه الجملة معنى ثانويا لجملة (سقى) ، فجعل السقى لهما ، أى من أجلهما، فإذا قيل : لم كان السقى ؟ .قيل : من أجلهما، فَعِلَّةُ السقى أجلُ الفتاتين.

ثانيا : اللام + الاسم الموصول

[لـ + ما] شبه جملة هنا ، دلت اللام فيه على السببية ، من قبل أنه هو الذى صير نفسه فقيرا فى الدنيا على الرغم مما كان فيه من ثروة وجاه عند فرعون ، قياسا بخير الدين الذى أُنزل إليه . والسببية من ناحية أنه كان يمكن أن يكون غنياً بخير الدين ، وبخير الدنيا ، ولكنه هو الذى اختار سبب الغنى الحقيقى ، فوجده فى خير الدين ، لذلك لا أجدنى إلا مخالفا الزمخشرى فى جعله اللام علة" إذ لا يقتضى الأمر أن يكون التلازم بين فقر الدنيا ، وخير الدين، أى لا يكون فقر الدنيا علة لخير الدين ، أو العكس . أما سببية اللام فمن باب إرادة البدل شكرا وفرحا.

---

[١] البحر :٧/١١٤.

بين ابن يعيش وهذه النصوص:

عرفنا أن ابن يعيش أرجع معانى اللام إلى معنيين هما: الملك والاختصاص ، فهل يمكن أن نعرض لهذه النصوص من وجهة النظر هذه؟

نقول:

(لِيشْتَرَوا) ← لاشتراء

(لِيحَاجُّوكم) ← لمحاجتكم

(لِيَبْتَلِيكَم) ← لابتلائكم

(لِيَكُونوا) ← لكونهم } مصادر مؤوله من:

(لِيَجْزِيَك) ← لجزائك } (أن مضمرة+ الفعل)

(لِيُبَيِّنَ) ← لتبين وهى مجرورة باللام

فيكون " لاشترائهم " من قبيل ادعاء الملكية ؛ إذ ما فعلوه من تبديل وتحريف زين لهم وَهْمَ الامتلاك.

أما " لمحاجتكم" فأرى أنها استحقاق؛ لأن المحاجة ناشئة عن التحديث، فبسبب التحديث كانت المحاجة استحقاقا لهم.

و" لابتلائكم" أى صار الابتلاء مستخفا عليهم ، من قبيل ترويض النفس على مشقة الصبر.

وفى "لكونكم" استحقاق أيضا ، لأن دعوة الكفر سائرة إلـــى استحقاق العذاب.

وكذلك فى " لجزائك " أرى فيه استحقاقا ، لأنه جزاء وأجـــر عما قام به من خدمة السقى.

وفى " لِتبَيِّن" استحقاق ، لأن التبيين هداية ، ومن ثم استحقوا التَّبْيين.أما " لهما" من قوله:(فَسَقَى لهُما) فهو رؤية رآهـــا موسى عليه السلام أن الفتاتين استحقتا السقى ، فأوجبه على نفسه ، هِمَّةَ نَبِيٍّ ، صدقا وعزما.

وفى "لِمَّا" من قوله (إنِّى لِمَّا) استحقاق أيضـــا ، إذ صـــير موسى عليه السلام نفسه فقيرا بسبب ما أنزل الله عليه من خـــير ، وكان عند فرعون في غنى ، فآثر نعمة الله ، وجعلها بدلا عن نعيم فرعون ، أولى بالفرح والاغتباط.

تلك - إذا - محاولة تطبيق معنى الإضافة فى الـــلام - كمـــا رأها ابن يعيش- على النصوص التى قدمناها - ولم يظهر لى أنـــها غير ممكنة ، بل كان الأمر ، أننا قمنا بـــالتطبيق ، وكـــانت هـــذه النتيجة التى أثبتناها ، مما عساه أن يؤكد صلاحيـــة هـــذا النظـــر لتطبيقه على معنى الإضافة فى اللام فى كل النصوص فى القـــرآن الكريم.

خلاصة معيار السبب والعلة فى اللام

رأينا اللام مرة سببا ، ومرة علة ، فما ضابط السبب والعلة إذاً؟

١- لابد من فهم المعنى المحدد للسببية ، الذى اتفق عليه اللغويون والمتكلمون الأصوليون.

وقد عرفنا هذه الحدود من سياقات الدرس ، التى تمثلت فى

- أن يكون السبب الذى من ورائه إرادة له.
- يكون هذا السبب سابقا.
- لا يدور السبب والمسبب وجودا وعدما.

٢- ولا بد من فهم حدود العلة أيضا ، على نحو:

- من كونها إجابة عن سؤال : لِمَ ؟
- ومن كونها عذر.
- ثم هى تدور مع المعلول وجودا وعدما.

ولا شك أن هذا كله رأيناه مفصلا فى ثنايا البحث ، لكننى رأيت إيجازه ههنا.

الفصل السادس

مِـــنْ

مــن

من معانى "من" التعليل ، هكذا ذكر بعــض النحـــاة[1] وقــد استدل ابن هشام على ذلك بقول الفرزدق:

يُغْضِى حَيَاءً ويُغْضَى من مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلَّمُ إلّا حِينَ يبْتَسِمُ

وبقول القائل:

وذَلِكَ مِن نَبإٍ جَاءَنِى وخُبِرْتُه عَنْ أَبِى الْأَسْوَدِ

لكننا - جريا على عادة البحث - نورد بعض النمـــاذج مــن القرآن الكريم ، نؤكد بها دلالة السبب ، ودلالة التعليل فى الآ يــات التى نتناولها . وها هى تلك:

قوله تعالى:

(وإنْ كُنتُمْ فِى رَيْب مِّما نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا) [البقرة ٢٣]

(يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أَغْنِياءَ مِن التَّعَفُّفِ) [البقرة ٢٧٣]

(يَتَخبطهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ) [البقرة ٢٧٥]

(عَضُّوا عَلَيكُم الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ) [آل عمران ١١٩]

(مِّما خَطِيئَاتِهِم أُغْرِقُوا) [نوح ٢٥]

التراكيب فى هذه النصوص

---

[1] ابن هشام : المغنى :٣٢٠/١، أوضح المالك :٢٨/٣

من + اسم موصول

من + مصدر

من + مصدر

من + مصدر

من + ما زائدة

في قوله تعالى : (مِمَّا نَزَّلْنَا)

يقول أبو حيان :" ولا تنافى بين إن كانوا فى ريب فيما مضى ، وإن تعلق على كونهم فى ريب فى المستقبل، لأن الماضى من الجائز أن يستدام بأن يظهر لمعتقد الريب فيما مضى خلاف ذلك ، فيزول عنه الريب ، فقيل؛ وإن كنتم ، أى ؛ وإن تكونوا فى ريب باستصحاب الحالة الماضية التى سبقت ، فأتوا... ومن تحتمل ابتداء الغاية والسببية .."(١)

لعل كلام أبى حيان يفسر لنا، لماذا جاءت:

من + " ما" الموصولة

من قبل أن " ما" الموصولة بعدها جملة الصلة المتضمنة للعائد المحذوف ، وهو القرآن . أما لو افترضنا التركيب:

من + المصدر " التنزيل"

(١) البحر : ١٠٣/١

لكان الريب منصرفا - فيما أرى - إلى التنزيل ، لا إلى المُنزِّل . ينضاف إلى ذلك أن الريب كان فى الماضى ، والمرتاب فيه الذى هو القرآن فى كونه من لدن الله العزيز الحكيم، كان فى الماضى والمستقبل مُصْطَحَبَيْن ، فمن ثَمَّ كان الموصول ، ليكون له عائد يُعين المرتاب فيه . وعلى ذلك يمكن أن نقول:

١-إن الريب كان مع بداية النزول ، ولذلك قيل : إن " من" يمكن أن تكون لابتداء الغاية.

٢- ويحتمل أن يكون الريب بسبب نزول القرآن فتكون " مِنْ" سببية

وفى قوله : (مِن التَّعَفُّف)

يقول أبو حيان :" ومِنْ سببية، أى الحامل على حسبانهم أغنياء هو تعففهم ؛ لأن عادة من كان غنى مال أن يتعفف ولا يسأل " ويتعلق بيحسبهم ، وجر المفعول له هناك بحرف السبب، لانخرام شرط من شروط المفعول له من أجله ، وهو اتحاد الفاعل...."[1]

معنى ذلك أن :

[من التعفف] ــــ متعلق بيحسب

فيكون الحسبان بسبب هذا التعفف

---

(١) البحر :٣٢٨/٢

فحرف السبب هنا أضاف معنى جديداً للجملة ، من قبل أن حسبان الجاهل إياهم أغنياء لا بد أن يكون له تفسير مقبول ، فجعل العفة هي ذلك التفسير المقبول.

ومعيار السبب فيما مضى ، أظنه مختلفا عما قدمناه من معايير مُتفق عليها من لدُن أهل العلم والدراية.

ولا يمنع بعد ذلك أن نوجزها:

١- إن القرآن كان نزوله أولا.

٢- ثم بعد ذلك كان الريب فيه.

٣- كان يمكن أن يكون التنزيل ، ولا يكون ريب فيه.

٤- ثم إن حسبان أهل العفة أغنياء ، قد يبدو للناس على غير الواقع.

٥- ثم يأتي تفسير السبب من لدنه سبحانه ، باعتباره عالماً بأحوال خلقه. [قوله: (... مِن الْمَسِّ)]

يقول الشيخ الرازي :" بم تعلق قوله (من المس) ، قلنا : فيه وجهان : أحدهما : بقوله (لا يقومون) والتقدير : لا يقومون من المس الذي بهم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان ، لثاني : أنه متعلق بقوله (يقوم) والتقدير : لا يقومون إلا كما يقوم المتخبط بسبب المس."[١]

---

[١] مفاتيح الغيب :٧/٧٦-٧٨.

وبذلك يكون

أ- من المس ــــ متعلق بــ(لا يقومون)

ب- أو يكون ــــ متعلقا بــ (يقوم)

ج- وبسبب المس الذى بهم لا يقومون إلا كما يقوم الــــذى يتخبطه الشيطان.

د- أو يكون قيامهم كالمتخبط بسبب ما به من مس ، وهــذا ما أراه أنسب للتعلق

فيأتى معيار السبب من قبل أن:

أولا : وجود المس أصلا سبب التخبط

ثانيا " لا بد من وجود المس أولا.

ثالثا : يكون التخبط بعد ذلك.

وقوله (.. من الغيظ)

يقول الشيخ الرازى :" وإنما حصل لهم ذلك الغيظ الشديد لمـا رأوا من ائتلاف المؤمنين وإجماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم ."[١]

ويقول أبو حيان :".. يقع منهم عض الأنامل لشدة الغيظ ، مع عدم القدرة على إنفاذ ما يريدون[٢] الظاهر من كلام الشـــيخين أن

---

[١] مفاتيح الغيب :١٧٦/٨

[٢] البحر :٤١/٣

"من" للسبب ، لأن المغتاظ وراءه سبب ، فيكون هذا السـبب مـن وراء هذه الهيئة فى البدن التى تمثل نفسا غاضبة.

وهذا يعنى:

١- الغيظ سبب العض.

٢- قد تكون هذه الهيئة نتيجة العض ، وقد لا تكون.

٣- ربما حدث شئ آخر غير العض ، بمعنى أن الغيظ ، وهـذه الهيئة ، لا يدوران وجوداً وعدماً.

وقوله : (مِمَّا خَطِيئَاتِهِم)

يقول أبو حيان :" قال ابن عطية: من لابتداء الغاية ، ولا يظـهر إلا أنها للسبب."[1].

يقول الرازى :" البيان أنه لم يكن إغراقهم بالطوفان إلا من أجـل خطيئاتهم."[2]

ولعل قول الرازى " إلا من أجل خطيئاتهم " مقصـود بـه السبب أيضا، كما ذهب أبو حيان،يؤكد هذا قوله عند تـأويل قولـه تعالى :" فَبِمَا نَقْضِهِمْ) [النساء ١٥٥] ، وقوله : (فَبِمَا رَحْمَـةٍ) [آل

---

(١) البحر :٨:٣٤٣

(٢) مفاتيح العلوم :١٢٩/٣

عمران ١٥٩] :" والمعنـــــى : مـــن خطايـــاهم ، أى مـــن أجلـــها وبسببها."[1]

فتكون خطيئاتهم ـــــــ سبب الإغراق

وتكون معايير السبب فى "مِنْ" على النحو الذى قدمنا من قبل.

[1] مفاتيح العلوم : ١٢٨/٣٠

بين السبب والعلة

طوفنا مع هذه الأدوات التى قدمنا ، فكانت بين السبب والعلة، لذلك رأينا أن نعقد هذا العنوان لندرج تحته هذين السؤالين:

الأول : ما السبب؟ أو ما الذى يقال له سبب؟

الثانى : وما الذى يقال له علة؟

إن الذى يمكن أن نسميه سببا أو علة ، هو فى حقيقة الأمر مرهون بالسياق كما أنه مرهون أيضا بضوابط السبب، وضوابط العلة . على أن الضوابط فى السبب والعلة رأيناها فى المقام الثانى ، بعد أن يكون للسياق كلمته ؛ ولذلك نسوق أمثلة على ذلك.

ظهر لنا من البحث - على سبيل المثال - أن " عن " جاءت سببا وعلة فكانت سببا إذا :

- كان الموضع موضع حمل على منهى عنه متقدم فى الذكر (فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا)
- عند نفى بسبب علوى ، كما فى قوله [وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى]
- التحول عن وجهة إلى أخرى [يُؤْفَكُ عنْها مَنْ أُفِك]

ثم كانت علة لتضمنها معنى:

- العذر.
- والتفسير.

- والجواب عن سؤال لم؟

ومن الأدوات التى قدمناها ، وكانت بين السبب والعلة اللام، وذلك مع أنها أكثر ما تدور فى الاسنعمال على معنى العلة ، ومن ثم رأيناها سببا فى موضع واحد . ولا يمكن تفسير هذا - فى نظرى - إلا من قبل حكم السياق.

وقد جاء فيه الأدوات ما هو سبب حسب ، مثل:

- الباء.

- الفاء.

- من

وما هو علة فقط ، مثل : حتى

وعلى ذلك يمكن القول بأن الذى نسميه سببا - كما جاء فى الدراسة - هو ما كان :

أولا : متضمنا ضوابط السبب المشار إليها فى البحث ، على نحو من الأصول المعتمدة للسياق.

ثانيا: ما جاء خالصا لمعنى السببية فيما قدمنا من نصوص ، فمن خلال تلك الضوابط والأصول،حيث رأينا: الباء- الفاء – مِنْ .

أما الذى نسمية عِلَّة ، فقد جاءت خالصة لهذا المعنى "حتى" متضمنة أيضا اعتبارات العلة التى بنينا عليها الحكم.

الخاتمة

نصل إلى نهاية الطريق الآن . بعد أن حمل الرأس أشتات الفكرة ، ولم يبق إلا أن نسجل خواطر هذه الأشتات ، أو خواطر هذه الفكرة ، فربما تراءت قيمةً علميةً ، تُسهم يوما فى إضافة رصيد متواضع إلى مكتبة الدرس العربى ، فتثرى الفكرة بهذا المكان الجديد، وتحلم بالبقاء فيه على أمل التشريف والتكريم.

أحسب درس هذه الأدوات عملا شاقا ولا ريب ، لكننى أتصور النتائج التى آل إليها البحث قد بددت ما كان من شقاء ، وهدهد عن النفس عناء الترقب والوصول، إن الذى قدمنا هو بعض أدوات السبب والعلة ، فكان حقا أن نقف على حقيقة السبب وحقيقة العلة ، وصولا إلى النتائج الصحيحة ، وقد أشرنا إلى ذلك تحت عنوان خاص، ولم يبق إلا أن نشير إلى أهم النتائج التى آل إليها البحث.

أولا : كانت روافد المعرفة لفهم السبب والعلة من طريق:

- النصوص
- وأقوال المفسرين
- وكلام النحاة والمتكلمين

ثانيا : كان معيار السببية متمثلا فى:

- وجود أمر يفعل من أجله فعل.
- الذى يفعل مختار فى أن يفعل أو لا يفعل.

- أن يكون السبب قبل الفعل.

ثالثا: وكان معيار العلة:

- عذرا.
- وتفسيرا.
- وإجابة عن لم ؟

رابعا: رأينا الباء سببا خالصا فى كل النصوص

خامسا: حتى علة خالصة.

سادسا: عن بين السبب والعلة.

سابعا: الفاء سبب فى كل النصوص التى قدمت

ثامنا : اللام بين السبب والعلة.

تاسعا : من للسبب فى جميع النصوص.

فى النهاية أظن أننى قدمت هذه النتائج فى حجمها الطبيعى . كما يخيل إلى أننى أخلصت قدر الطاقة . فليكن الجزاء على قدر الإخلاص . والله من وراء القصد وصلى الله على محمد خير خلق الله طرأ

الثالث من صفر ١٤٢٥هـ

الرابع والعشرون من مارس ٢٠٠٤م

سعد حسن حمودة

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

- ابن الحاجب (جمال الدين أبو عمرو عثمان ٦٤٦هـ)

شرح الكافيه، الطبعة الثانيـــة ١٩٧٨م ،دار الكتــب العلميـــة ، بيروت ، لبنان

- ابن جزم(أبو محمد على بن أحمد سعيد بن حزم ت :٤٦٥هــــ)

: الإحكام فى أصول الأحكام، تحقيق الدكتــور محمــود حــامد عثمان ، الطبعة الأولى ١٩٩٨م، دار الحديث ،القاهرة

- أبو حيان (محمد بن يوسف ت ٧٥٤هـ)

البحر المحيط ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م،دار الكتاب الإســلامى ، القاهرة.

- الرازى(فخر الدين ت ٦٠٤هـ)

مفاتيح الغيب ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م ، دار الكتب العلميـــة ، بيروت ، لبنان.

- الزمخشرى (جاد الله محمود بن عمر ت ٥٣٨هـ)

الكشاف ، دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان.

- ابن السكيت (أبو يوسف يعقوب ت ٢٤٤هـ)

كتاب الإبدال ، تحقيق الدكتور حسين محمد شـــرف ، الهيئـــة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٩٧٨م.

- سيبويه (أبو يسر عمرو ت ١٨٨هـ).

الكتاب ، الطبعة الأولى ١٣١٦ هـ بولاق مصر.

- ماهر سليمان حموذة (الدكتور): دراسة المعنى عند الأصوليين ، الدار الجامعية للطباعة والنشر الاسكندرية.

- ابن عقيل (بهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٦٩هـ)

شرح ابن عقيل ، بدون دار نشر ، ولا سنة طبع.

- على أبو المكارم (الدكتور)

إعراب الأفعال ، الطبعة الثالثة ١٩٩٢م ، دار الثقافة العربية ، القاهرة.

- الفيروز بادى (مجد الدين محمد بن يعقوب)

القاموس المحيط ، الطبعة الثانية ،١٩٩٢، البـــابى الحلبـــى ، مصر

- ابن كثير (الحافظ عماد الدين ت ٧٧٤هـ)

تفسير القرآن العظيم ، دار التراث العربى ، القاهرة.

- محمد عبد المطلب (الدكتور)

البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ، بيروت ، الشركة المصرية العالمية للنشر ١٩٩٤م.

المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥ هـ)

- المقتضب ، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمه ، عالم الكتب ، بيروت

المرادى(الحسن بن قاسم)

- الجنى الدانى فى حروف المعانى ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ومحمد نديم فاضل ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، المكتبة العربية بحلب.

مصطفى الغلامينى:

- جامع الدروس العربية ، الطبعة السادسة والقرون ١٩٩٢، المكتبة العصرية ، بيروت.

- ابن هشام (جمال الدين ت ٧٦١هـ)

- أوضح المالك ، منشورات المكتبية العصرية ، صيدا ، بيوت.

- المغنى ، تحقق محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، القاهرة .

- أبو هلال العسكرى الفروق فى اللغة ، تحقيـــق لجنـــة إحيـــاء التراث العربى ، الطبعة الخامسة ١٩٨٣م، دار الآفاق الجديدة ، بيروت.

- ابن يعيش(موفق الدين ت ٦٤٣هـ)

- شرح المفصل ، مكتبة المثنى ، القاهرة.